خالتى إيطاليا

خالتى إيطاليا
صالح سعيد
الطبعة الأولي .... يونيو ٢٠١٣

الغلاف : أسامة علام
المراجعة اللغوية : محمد عبد الغفار
اخراج داخلي : إبداع للدعاية والاعلان
رقم الإيداع : ٢٠١٣/٥١١٤
الترقيم الدولي : 978-977-6412-29-3

الحـلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

صالح سعيد

خالتى إيطاليا

مقالات ساخرة

الحلم للنشر والتوزيع

الفهرس

فصل أولي أول ١/١ (مشاعر)

٨ الحب الحكيكي
١٤ شاعر مشافش حاجة
١٨ دموع في عيون زبادي
٢٤ حاسة الغمز
٢٨ جمع مذكر شاحن

فصل تانية تاني ٢/٢ (يا مواصلاتك يا إيطاليا)

٣٤ نحن لا نحصد اليورو
٤٠ الشراب الدامي
٤٦ هتمرد ع المترو الحالي
٥٢ عوض الحقيقي

فصل تالتة تالت ٣/٣ (بالهنا والشفا)

٥٨ عطشان تعالي اطبخ
٦٤ بامية كشف الكذب
٦٨ سيجارة كحلي
٧٢ الفول والفلول

٧٦ قاضي في قفص الاتهام

فصل تالتة تالت ٣/٣) فسحة سياسية)

٨٢ نزلتي التحرير يا أمينة
٨٦ الفراعين في نعيم
٩٢ فكر ثواني واكسب ثواب
٩٨ مواصفات رئيس مصر القادم
١٠٢ الأخ الشكيك

فصل رابعة رابع ٤/٤ (كوكتيل)
١٠٨ ارغي يا شهرزاد
١١٤ امسك حرامي
١٢٠ أنا والكاربنيري وهواك
١٢٤ لست وحدك يا مليجي
١٣٠ دفاعا عن حق البوبي
١٣٤ صنايعي من كوكب آخر
١٤٠ القطة المشمشية

فصل أولى أول

١/١

مشاعر

الحب الحكيكي

بمجرد أن أخذت قراري بأن أنشأ وأترعرع في عالم البيتزا تحت بند نظرية سبعة صنايع والبخت نهضة.. كنت دائما أسمع من أساتذتي العظام في هذا المجال أن أسوأ زبونين على الإطلاق هما أول زبون وآخر زبون.. فالأول يجبرك على أن تطرح تثاؤبك أرضا وتندم على كل لحظة سهر أمام الفيس بوك - آدي آخرة الشات - حتى يأكل هذا الزبون الطفس اللي صاحي من النوم يضرب بيتزا تصبيرة ع الصباح الباكر.. أما آخر زبون فهو أكثر رخامة؛ لأنه وبعد أن تقوم بالتشطيب وتستعد للإقلاع من مطار المطعم وبمجرد ربطك للأحزمة يدخل عليك الزبون إياه ليعلن عن ترانزيت آخر.. المشكلة أنه في كلتا الحالتين أنت مجبر على رسم ابتسامة عريضة مليئة بالفرحة والزقططة وأنت أساسا عايز تسويه مع البيتزا في الفرن.. وهذا ما حدث معي في تلك الليلة.. فبينما كنت أستعد للطيران خلف جرس الفسحة التي هي ساعتان، الراحة من ٣ لـ٥.. دخل زبون غريب.. مبدئيا صعب تعرف له سن؛ لأن أكيد أيامه ما كانش فيها بطايق ولا سجل مدني أساسا، حاجة كده من التسعين وانت طالع - ده لو قدرت تطلع أساسا - ولأول مرة لا أبتسم في وجه زبون بسرعة فقد كان عقلي يفكر بسرعة ويدعو: يا رب ألحق أعمل له بيتزا قبل ما السر الإلهي يطلع.. نفضت عن ذهني كل التساؤلات لأن عامل الزمن لم يكن في صالحي.. ابتسمت رازعا إياه التحية قائلا:

- تشاااااو..

فاجأني بأن ردَّ عليَّ قائلا:

- تشاااااو - خمس مرات -

قلت:

يمكن على أيامه معلمينه اللي يقول لك تشاو مرة يرد عليه بخمسة عشان الحسد.. لم أتوقف كثيرا أيضا أمام تلك النقطة - العمر بيجري يا

جدعان - فسألته سريعا عن نوع البيتزا وهل عايزها متحنطة ولا عادية.. هنا ابتسم بهدوء السنين - القرون اللي فاتت - معلنا أن الموضوع ده تحديدا محتاج قعدة – يا لهوي -

قلت له:

- أرجوك ما تتعبش نفسك بأنك تحكي لي قصة حياة البيتزا من أيام ما كانت قرصة بسمسم.. انت بس قول نوعها وخلال خمس دقايق وبمجرد ما تكتب وصيتك هتلاقيها جاهزة بعون الله واهو تلحق تفرح بيها..

ابتسم لي أكثر معلنا لي أسفه على توقيت طلبه للبيتزا، قلت في سري: الحمد لله طلع عايش وبيفهم.. أخبرني بأن هذه البيتزا تحديدا لها ظروف خاصة - طب ما انت ظرف نادر برضه - قلت طب انت بس قول لي نوعها وشوف أنا هعمل لك إيه، ولو عايز تحيرني شوية قول لي أول عشر حروف من اسمها وأنا هكمل.. أخبرني بأن مشكلته ليست مع النوع، فهو يريدها مارجريتا عادية في النوع، لكنه يريدها مختلفة في الشكل..

قلت له:

- إحنا عادة بنعملها دائرية الشكل، لكن لو حنيت لأيام خوفو أنا ممكن أعملهالك على شكل هرمي مثلثي.. هنا تحديدا رزعني المفاجأة الحقيقة بأنه يريد بيتزا على شكل قلب - مهند العصر البيزنطي - ضحكت غصب عني وعن ماما وبابا - أهلي يعني - ودار في عقلي كام ألف سؤال تلخصوا في كلمة واحدة، وهي:

- ليه؟

قال لي:

- عشان أهديها لزوجتي حبيبتي

- غطوني وارقعوا بالصوت - هنا تحديدا نسيت الإيطالي وأصول معاملة الزبون وانه دايما على صواب حتى لو قال لك اقلع الجزمة واضربني

بالشراب.. نسيت ده كله وصرخت بالمصري:
- نعم يا روح أمك ؟ اندهش معلنا عدم فهمه.. سألته إن كان فعلا بيتكلم جد ولا نسي يشرب اللبن الصبح وضرب جوينت أفغاني قلب عليه ذكريات الحرب العالمية الأولى.. أكد لي بمنتهى الحسم إنه بيتكلم جد وفعلا عايز بيتزا على شكل قلب حتى يهديها لزوجته الفرنسية كيارا - ديليسبس حضر فرحهم - التي سيقابلها بعد نصف ساعة في البار القريب من هنا ويفاجئها بها - ده يمكن تروح فيها - هنا وجدت نفسي أحترم هذا الرجل بشدة، لأن الزمن لم يهزم إحساسه بحبيبته، بل بالعكس كلما تقدم في السن فاض إحساسه بالرومانسية، ففكرة بيتزا على شكل قلب جميلة وبسيطة، على عكس الشباب اللي آخره يبعت لحبيبته إس إم إس اشحن لي شكرا.. سألته عن آخر مفاجأة منه للمحظوظة كيارا قبل البيتزا، التي سأتشرف بتنفيذها، قال لي إنه كتب اسمها بالورد الطبيعي في كل أرجاء المنزل - صايع صايع يعني - قلت له وأنا مساهمة مني في نعنشة وإنعاش قصة الحب الأثرية دي هكتب أول حرف من اسمها بالمايونيز على البيتزا بعد ما تطلع بألف سلامة من الفرن.. فرح وقعد يقول شكرا لحد ما كان هيموت مني في المطعم..
سألته بشكل مفاجئ:
- انت بتحبها أوي كده؟
هز رأسه بإيجاب ومزاج.. حسيت إنه سؤال غبي مني لأنه أساسا مفيش وقت يلعب بمشاعرها.. تفننت وأنا بعمل له في البيتزا على شكل قلب، وبمجرد خروجها من الفرن كتبت له حرف الكيه بسرعة وأغلقت الكرتونة حتى لا تبرد البيتزا وحتى لا يطير دخان رومانسيتها.. استأذنته أنني سألحق به على البار حتى أرى بعيني رومانسية دار المسنين، وبالمرة أضرب قهوة هناك.. أخذ مني الكرتونة وانطلق بسرعة - ما اعرفش جابها

منين - نحو البار.. وأنا أيضا انتهيت من التشطيب بسرعة حتى أرى تلك الشحرورة الفرنسية وسر عشق هذا الرجل لها حتى هذا العمر.. بالفعل غادرت المطعم واتجهت للبار.. وصلت لأجد نفسي أمام مفاجأة قاسية لأنني وجدت كيارا تقف أمام زوجها الممسك بكرتونة البيتزا وهي تمسح بكرامته الأرض وهو يقف كالمبلول أمامها والذي بمجرد رؤيته لشخصي أسرع نحوي طالبا مني الاعتراف لزوجته بأنني أنا من كتبت أول حرف من اسمها على البيتزا وأنه لم يرَني وأنا أكتبه؛ لأن كيارا تبدأ بالسي، وأن هذا سر ثورة زوجته العارمة - بيموتوا في النكد على مر العصور - بالفعل أخذت منه الكرتونة واتجهت نحو كيارا بطريقة من يحمل كفنه في الصعيد الجواني معربا لها عن أسفي وتقديري واعتزازي بمشاعر لم تعرف طريق ثلاجة كريازي.. فهي مشاعر ملتهبة رغم أن أحفاد أحفادهم أكيد مقطعين بعض في محكمة الأسرة.. تفهمت كيارا الموقف، خصوصا أن نظرات عيني زوجها الصادقة كانت مثل الموسيقى التصويرية المصاحبة لأسفي واعترافي.. غادرت المكان وهما سمنة على عسل لا يقدر بخمسين ستين صرة من الدنانير.. غادرت وأنا أؤكد لنفسي أن هو ده الحب الحكيكي.

شاعر ما شافش حاجة

الطبيعي أن حضرتك لما تحب تروح فرح فأكيد هتبقى معزوم من العريس أو العروسة.. لكن تخيل إنك مطالب بأنك تروح فرح وانت معزوم من شخص مش معزوم أساسا - يا لهوي ع الظلم - وهذا هو المطب اللي وقعت فيه مع حسن صديقي الذي مارس معي سياسة «الإلحاح كنز لا يفنى» وهو يطالبني بأن أذهب معه لفرح مصري خالص؛ حيث إن العريس هنا في إيطاليا والعروسة ستأتي له بفستان الفرح على القاعة على طول - ترانزيت الكوشة - وبالتأكيد رفضت في البداية مؤكدا له أني عشان أروح الفرح لازم أكون معزوم من العريس أو من العروسة أو على أقل تقدير من المأذون - عزومة شرعي يعني - لكن أروح كده؟ وبالشكل ده؟ ساعتها هحس إني في خُمس هدومي - كأني ع البحر - وما لا تعرفونه عن حسن صديقي - وده من حسن حظكم طبعا - إنه عنده قدرة على الزن السحري اللي يخليك ممكن تروح معاه تبوظ الفرح مش تهيص وتفرح فيه بس.. المهم أنه بعد أن رفعت أذناي الراية البيضاء أمام وصلة زن حسن - اللي مش معزوم - أكدت له أننا سوف نذهب ونلقي نظرة من بعيد لبعيد، وبالكتير أوي نعمل لايك ونرجع.. فوجئت بأن اللايك لم يكن على مستوى طموح حسن - اللي ما حدش يعرفه غيري في الفرح - وإنه مصر على إنه يعمل كومنت وبصمة كمان.. موضحا لي أنك هنا لا بد أن تشارك أخاك المصري فرحته من دون اللجوء للعزومة والكلام الفارغ ده.. وهروبا مني من إلحاحه أوضحت له اقتناعي التام بكلامه، بل وأكدت عليه أنه لما نروح الفرح يطلع ع المسرح ويغني للعريس:

ما شربتش من نيلها،

وللعروسة: ما تفكروش يا بنات إن الجواز راحة.. المهم أننا بدأنا أجواء الاستعداد الذهاب للفرح بعد أن ارتدى حسن قميصا لامعا خصصه للأفراح اللي مش معزوم فيها - قميص بترتر - وأنا برضه لبست الحتة اللي

ع الحبل وبعدين رميت الحبل من الشباك، ووصلنا القاعة التي فوجئت بمجرد وصولنا لها ونحن في انتظار العريس قادما من مطار مالبنسا أن حسن عارف ناس كتير من الموجودين، خفت ليكون حسن هو اللي عازمهم وانهم زي حالاتي ما يعرفوش أول تسع حروف من اسم العريس.. تخيلت بقى إن العريس ييجي من المطار ع القاعة يبص ع المعازيم ما يلاقيش حد يعرفه ياخد العربية ويهرب منهم عموما ومني أنا وحسن خصوصا.. لكن الحمد لله زالت أوهامي بعد أن وصل العريس مصطحبا معه عروسته التي كانت ترتدي فستانها الأبيض باديا عليها الإرهاق من السفر - ولسه - اطمأن قلبي أكثر بعد أن رأيت ابتسامة العريس الصافية ممتزجة مع دعاء هشام عباس الشهير أسماء الله الحسنى.. خلص الدعاء من هنا وعينك ما تشوف إلا النور.. حسيت إني في إمبابة مش في مونزا، وهذا من كم الأغاني الشعبية التي أتحفنا بها المصري الجميل اللي واقف ع الدي جي - شكله من معازيم حسن - بداية من أغنية افرض مثلا مثلا يعني إني خاصمتك يوم، ونهاية بالأغنية التي لاقت إعجاب وتقدير وامتنان وهز وسط معظم المعازيم وعلى رأسهم حسن، أغنية أنا شارب سيجارة بني - إيه المانع تبقى بني مقلم؟ - شاورت لحسن وهو بيرقص إنه ينزل من ع المسرح لأنه ما بيعرفش يرقص وتحس إنه بيعوم فعلا - فرح في البيسين - اعتقد صديقي الراقص أنني أطلب منه أن أشاركه في الغرق على المسرح.. وجدته يأتي مسرعا يطالبني بمشاركته على طريقة «تسمحي لي بالرقصة دي»؟ اعتذرت له موضحا أنني اعتزلت السباحة، قصدي الرقص على المسرح، من سنة وتسع شهور وخمس ست أيام.. وبصراحة اليوم كان زي العسل الأبيض.. كان معظمنا مصريين ومن كتر العدد تشعر بأنك ممكن ترفع علم مصر ع المسرح - ما حدش يفهمني غلط - بجد كان يوم رائع.. روعته تكمن في روحه.. إحساسك بأن العريس

ده أخوك وإن العروسة بنت بلدك.. إحساسك بأنك صاحب فرح رغم إنك من معازيم حسن.. كنت مبسوط وأنا بشارك في التنظيم مع حسن - صاحب الليلة - المهم اننا تعرفنا يومها على مجدي، وفي طريق عودتنا تجاذبنا أطراف الحديث.. أوضح لي أنه شاعر وأنه لم يحضر أحداث الثورة في مصر، لكنه كان يتابعها لحظة بلحظة.. وكان كل يوم يكتب قصيدة تسرد الأحداث رغم أنه ما شافش حاجة.. حكى لي عن ألمه من أحداث موقعة الجمل وفرحته يوم التنحي.. أكدت له أنه علينا أن نتفاءل بأن القادم أفضل بشرط أن نعمل كثيرا وكثيرا ونتكلم قليلا.. المهم أن حسن زن على ودان مجدي أن يتحفنا بمطلع قصيدة كتبها أيام الثورة.. استسلم مجدي - اللي كان عامل مكسوف - وقال المطلع:

فين الطريق يا مصر؟ فين الأمل؟ ازاي المصري يضرب مصري ويقولوا موقعة الجمل؟

الطريف أنه بعد هذا المطلع حسن حلف على مجدي ما هو طالع أكتر من كده.

دموع في عيون زبادي

إذا شاء القدر السعيد لحضرتك وقررت أن تستقل المترو من محطة ساندوناتو لمحطة السيستو يجب أن تعلم أنها ٢٨ محطة، وفي رواية أخرى ٢٧ محطة على أساس إن فيه محطتين إيد واحدة - اشمعنا الشرطة والجيش؟ - المهم أنه حتى لا يصبح الملل هو أنتيمك في هذه الرحلة لازم تبقى زي اللمبي وهو داخل الامتحان: تذكرتك في جيبك.. موبايلك مشحون ع الآخر كهربا وأغاني.. سماعتك في ودنك.. مطوتك اركنها بره عشان لو حصل تفتيش ولا حاجة.. وبخلاف الجملة الأخيرة.. هذا ما فعلته تماما وأنا في هذا المشوار الإكس لارج.. ولأن ساندوناتو هي أولى محطات المترو وجدت العدد قليلا، قلت أحسن أهو فرصة نتعرف ع الكراسي.. أثناء انتظاري للمترو لفت انتباهي بشدة منظر طبيعي غير طبيعي بجد.. فتاة غاية في الرقة والجمال والروعة و... وكفاية كده.. هذه الفتاة.. قصدي هذه المزة كانت تبكي بحرقة شديدة ممسكة في يدها موبايل كلما نظرت إليه بكت أكثر لدرجة اني شكيت إن الموبايل ده مسيل للدموع أو يكون نوعه بصل فنلندي أصلي.. لم أستطع أن أمنع نفسي من متابعتها من تحت لتحت لعل وعسى تقول سر الدموع الغزيرة على طريقة يا لهوي أو ألطم يا ناس؟ وجدت نفسي أشبهها بزبادي البريئة، التي كتب عنها أستاذي بلال فضل في مقال سابق شهير: زبادي الإيطالية كانت تمتلك مثل هذه الروح، ولو كان هناك فارق بسيط سيتلخص في أن زبادي الإيطالية بالفواكه.. المشكلة فعلا أنها كانت كلما هدأت قليلا تنظر للموبايل وتبكي بحرقة أكثر..

تساءلت في نفسي:

هل ممكن يكون رصيدها خلص ومش عارفة تبعت لحبيبها رسالة كلمني يا بيبي؟ طب هل ممكن تبقى حزينة على أساس أن هناك من اتصل بها وصدمها في خبر موجع بأن الكلب بتاعها جاله برد في ديله؟

استبعدت هذا الاحتمال على أساس أنه أين الحزن في الربع طقم اللي لابساه؟ زادت دموعها وما كنتش عارف ألاقيها منها ولا من أحمد سعد وهو بيغني في وداني رائعة جمال بخيت «مش باقي مني».. أتى المترو وجدت نفسي أجلس أمام زبادي مباشرة - قال يعني صدفة - بجد وبعيدا عن الهزار التهريجي كنت حاسس إن زبادي لوحة فنية رائعة تشرح معنى الدموع البريئة.. ولأن الباكستانيين هنا أكتر من الفلول في مصر ربنا كرمني بواحد منهم قعد جنبي - حبكت يا روح طنط؟ - وكما توقعت وبمجرد أن رأى زبادي ورأى جمال دموع أمها وجدته يأخذ الوضع المزبهل وهو ينظر لها فاتحا فمه شبر فوق وشبر إلا ربع تحت ولسانه بيلطم في النص.. تمنيت بشدة وقتها لو أنه كان صديقي وأنتيمي حتى يسمح لي العشم بأن أضربه بالكوتشي على فمه حتى يغلقه أو يواربه ع الأقل.. لم أكن أريد أن يعكر أي شيء أو حدث أو حتى فم صفو دموعها البريئة.. عايزها تفضفض.. لأنها لو انتبهت للحظة لفم الباكستاني المفتوح على مصراعيه ستتبدل دموع البراءة إلى دموع أفلام رعب من طراز ساو.. شعرت بالقلق بعد أن دخل علينا في إحدى المحطات رجل إيطالي ساحبا وراءه كلب مهول.. عريض المنكبين.. طويل الديل والشعر والتيلة.. تحس إنه دوبر مان - أو دوبر وومن لو كلبة – قلت: يا رب يكون هذا الأسد، المتنكر في ديل كلب، يكون من النوع السايلنت، ولو زودها أوي يبقى فيبريشن، يعني يقعد يهز ديله وخلاص.. وتساءلت: يا ترى الحيوان ده قاطع تذكرة برضه ولا عامل عضمة اشتراك ؟ اطمأن قلبي بعد أن وجدت أنه لم يلفت انتباه زبادي نهائيا وأعطتني دليلا على ذلك بكوكتيل دموع لؤلؤية على ربع كيلو شحتفة رومانسية على مسح خمسين ستين صورة من موبايلها - هو الميموري بتاعها كام؟ - وصلنا محطة أخرى ودخل ستات كتير توقعت من إحداهن أن تهدئ من روع زبادي، لكن هذا

لم يحدث.. كُنَّ ينظرن لها بكل برود كأنها تغني لا تبكي.. تخيلت أنها لو في مصر - طبعا مش زبادي دي لأن دي لو في مصر وركبت من شبرا وهي زبادي هتنزل في الخلفاوي وهي أم زكي - بجد تساءلت هل لو في مصر ألم تكن ستجد ست فاضلة أو بنت من سنها تهدئ من روعها؟ وهل الناس دي صح فعلا بعدم التدخل في شئون الغير أيا كان الموقف والحدث؟ وجدت نفسي أميل إلى أننا كمصريين لما بنبقى جدعان بنبقى أحلى شعوب الأرض.. نرجع لزبادي التي لم يعكر صفو دموعها سوى دخول رجل يعزف الموسيقى مقابل اللي يطلع من ذمتك الموسيقية.. الذي بمجرد أن رآها حتى انفرجت أساريره الداخلية والخارجية، فقد رأى فيها سبوبة اليوم المنتظرة.. وعلى الفور راح رازعها ورازعنا معاها وصلات موسيقية حزينة خليتني كنت هعيط معاها.. أمطرنا بأغاني على طريقة بحبك وحاسة بخوف.. قلبك يطلع مولوتوف.. بكت زبادي أكثر، وكلما بكت تفاعل معها أكثر موسيقار الأحزان أو حمادة هلال الإيطالي، لدرجة أنه وقف جنبها وهو يعزف حتى يصل إليها أن الموسيقى دي لسه عاملها طازة عشانك.. وبالفعل لم تبخل عليه زبادي وأعطته مبلغا لم أنجح - للأسف - في معرفته، لكن أعتقد أن الباكستاني عرفه، لأنه بالتأكيد راكن ميكروسكوب في نصف فمه الأيمن.. للأسف نزلت زبادي قبل معاد نزولي بمحطتين - طول عمري نحس - تابعتها خلسة عبر زجاج المترو لأجدها ترتمي في أحضان صديقة لها كانت تنتظرها بالمناديل ع الرصيف - حظوظ - وبالطبع لم أكن أتابعها وحدي، كان معي الباكستاني اللي فاتح فمه جراج.. تحرك المترو من جديد دون أن أعرف سر دموع زبادي.. معلنا سخطي على كل نساء المترو الباردات، داعيا لزبادي براحة البال وفراغ الميموري اللي مزعلها ده.. المدهش أنه بعد وصول المترو لمحطة النهاية بالسيستو نظرت لأخينا الباكستاني لكي أودعه وجدته قد

نام بسرعة شديدة مغلقا فمه.. حسيت إني ظلمته وإنه من الوارد أن يكون فتح فمه لأكثر من عشرين محطة على التوالي عبارة عن تثاؤب، لكن من النوع الآسيوي.. فكرت أصحيه عشان ينزل.. قلت لأ.. هسيبك نايم أكيد بتحلم بجهينة، قصدي زبادي.

حاسة الغمز

كان من رابع أو خامس - مش فاكر الرقم - تقريبا كان من سادس المستحيلات أن أقنع عمي السيد، الراجل الطيب صاحب الـ٤٥ عاما، أنه من الصعب أن أسترسل معه في الحديث في نفس الوقت اللي بكون بكلم فيه أصدقائي على الإنترنت.. فليس من المعقول أن أفتح شات الياهو وشات الفيس وشات البيت في وقت واحد.. الغريب أنه ذات مرة اتهمني عمي السيد بأنه بيكلمني وأنا مش معاه خالص.. اعتذرت له ثم وصّلت له معلومة بتقول إن صاحب بالين كداب وصاحب تلاتة حزب وطني.. هز رأسه متفهما - هكذا ظننت - وبعد أقل من ربع ساعة خاب ظني رغم أنني وضعت السماعات في أذني حتى يستوعب أنني عملت خلع من الصالة.. وجدته يشير لي بيده.. نزعت السماعة ووجدته يطالبني بمعرفة أسعار السيارات السوزوكي الياباني الأصلي بتاعة بنها على الإنترنت وأخذ يؤكد أنه لازم يكون ياباني بتاع بنها.. قلت له يعني الياباني بتاع شبرا ما يمشيش معاك؟ قال لي لأ خليك في بتاع بنها - ده على أساس إن مدينة بنها ومدينة يوكوهاما اخوات في الصناعة - المهم إني دخلت على جوجل مطالبا إياه بسرعة البحث عن أسعار هذا السوزوكي الياباني الصنع والبنهاوي النكهة، والحمد لله لم أجده.. ولم ينقذني هذا من سماع قصة حياة السوزوكي من أيام ما كان توك توك.. ثم جاء صديقي إيهاب، ٢٥ سنة، وهو الصديق الصدوق لعمي السيد.. تنفست الصعداء، فقد وجدت فيه المنقذ من صالة السيارات اللي أنا قاعد فيها.. خاب ظني مرة أخرى بعد أن وجدت إيهاب يجلس في الصالة متجهما على غير عادته المرحة.. حتى السلام طلع منه بالقسط.. سألته عن سر حالته لم يعطني ردا مقنعا.. أكدت له أنه لو سمع قصة حياة السوزوكي من عمي السيد حالا هيروق ويبقى زي الفل لأني كنت زيه من نص ساعة، ودلوقتي بقيت تمام.. هنا وجدت عمي السيد ينظر لي بحذر وهو يغمز لي بشدة - مصيبة ليكون

بيعاكسني - ولم أفهم سر غمزاته إلا بعد أن غادر إيهاب الصالة وعرفت أنه هو وعمي السيد متخاصمين، عشان كده مش هينفع يتكلم معاه - محظوظ أنا - سألته على الفور عن سر هذا الخصام قال لي إنه بيعتبر إيهاب زي ابنه بالظبط، لكن حال إيهاب مش عاجبه لأنه مسرف جدا ومش عامل حساب إن الغربة هنا ليها تمن.. وإنه لما كلم إيهاب زعل منه.. الغريب بجد إني لمست حزن عمي السيد العميق على أن إيهاب ما بيكلموش وكأنهم في سن بعض.. بجد حسيت بمدى طيبته بعيدا عن السوزوكي اللي كانت هتزعلني منه.. المهم أنني هدأت من روعه ووعدته بأن أقوم بشد أذن إيهاب وأخليه يصالحه ويعتذر له كمان.. وبالفعل تحدثت مع إيهاب في الموضوع، موضحا له أن الراجل عايز مصلحته لأن اليورو هنا بينضرب في خلاط الإسراف، لكن في مصر بينضرب في تمانية.. أكد لي إيهاب تفهمه لذلك، لكنه زعلان من تدخل عمي السيد الدائم في شئونه.. أكدت له أنه برضه عيب يدخل الصالة وما يتكلمش معاه لأني قعدت بينكم حسيت إن عمي السيد ليبرالي وانت سلفي.. قال لي: لا، سلفي مين؟ أنا الحمد لله عمري ما استلفت من حد.. كتمت ضحكتي وقلت له: وده العشم يا صديقي.. المهم إننا هنطلع وعايزك تتكلم معاه عادي، لأن الراجل في الأول وفي الآخر عايز مصلحتك.. طلعنا إلى منزلنا السعيد وجلسنا مع عمي السيد الذي كان يشاهد التليفزيون.. وانتظرت حتى يتحدث إيهاب معه ولكن هذا لم يحدث.. غمزت له بطرف عيني على عمي السيد - اللي شافني وأنا بغمز - ولكن أيضا لم يتحدث.. قلت يمكن مش واخد باله.. غمزت له مرة ثانية بعيني وشاورت له بإيدي على عمي السيد - اللي كان ناقص يغمز معايا - ولكن أيضا لم يتحدث معه.. هنا نظر لي عمي السيد بإحباط كنت عايز أقوله إنه يبدو أن إيهاب فقد حاسة الغمز.. بجد زعلت من إيهاب يومها لأنه لم ينفذ وعده لي.. الجميل

أن هذا الزعل لم يطول لأنه تاني يوم ومع ظهور مشكلة لعمي السيد في الشغل لم يقم بحلها له سوى صديقه الصدوق إيهاب.. فرحت جدا وقلت لإيهاب: مبروك عليَّ النت ومبروك عليك عمك السيد والسوزوكي.

جمع مذكر شاحن

من أجمل إيجابيات الغربة هي نظرية إلغاء المسافات، بمعنى أنه من لم تكن تعرفه في مصر ولا تربطك به أي صلة من بعيد أو من قريب أو حتى ميدان التحرير هو هنا بلدياتك وصاحبك وحبيبك وبأسرع مما تتخيل، وهذا ما حدث لي مع صديقي أحمد الذي جمعتني به مهمة عمل انتحارية لمدة شهر بطعم اليورو.. ولم يكن عملا فقط كان سكنا أيضا.. وبالفعل خلال ٣ ساعات ونص إلا خمسة كنت عارف عنه كل حاجة تقريبا، وهو أيضا نفس الشيء.. عرفت إنه خاطب وإنه الآن في مرحلة تشطيب الجيوب المادية، الشهير بتشطيب الشقة.. وفي البداية اندهشت عندما وجدته يمتلك أربع موبايلات مختلفة بأربع خطوط، وقلت في بالي إنه بالتأكيد يا إما يكون بيشتغل تاجر موبايلات بعد الضهر، يا إما يكون قريب شعبان عبد الرحيم.. وده لأن أربعة هنا كتير فعلا؛ لأن الواحد هنا يا دوب عليه يشيل همه يبقى ازاي يشيل معاه أربع تليفونات؟ ولكن عندما عرفت السبب في ذلك أكدت عليه أن أربع تليفونات شوية جدا وأنه لا بد وحتما يشتري واحد كمان عشان يبقوا خمسة، وده منعا للحسد.. صديقي أحمد فون، كما أطلقت عليه، يحمل كل هذا الكم من الموبايلات حتى لا يفوته عرض من العروض، حتى يتسنى له أن يتحدث مع خطيبته كيفما شاء، ولا أنكر اعترافي له بأن فترة الخطوبة هي أجمل فترات العمر وأنه لو شاطر يفضل خاطب لحد ما القذافي يتمسك متلبس بالتوك توك.. اندهشت أكثر بعد أول أسبوع شغل وسكن مع أحمد فون بسبب قدرته وإصراره على التحدث في التليفون مع خطيبته في كل ثانية هو فاضي فيها.. ولأن الموبايلات بتاعته أنواعها مختلفة فتجد أن الشواحن الخاصة بها دائما في المشترك الذي دائما كنت أشبهه بأنه كالشجرة، يعني مشترك طارح شواحن.. الجميل بجد إني كنت كل يوم أصحى من النوم وانا عارف نفسية أحمد عاملة إيه النهارده بناء على نغمة تليفون من

السنترال اللي هو شايله.. يعني أعرف إنه مبسوط النهارده لو صحيت على نغمة «جانا الهوا» للعندليب أو حتى «العنب العنب» لسعد اللي مش عايز يكبر - الصغير يعني - وللأسف كنت نادرا ما أصحو من نومي على هذه النغمات التفاؤلية لأنني كنت يوميا تقريبا أتفزع من النوم على نغمات ولا الكوابيس، لأنه ما معنى وما ذنبك أن تصحو من النوم على صوت واحد بيقول لك «دايما دموع دموع دموع» ويفضل يقول في دموع دي لحد ما تنزل دموعك وتحس إنك بتخرط بصل وانت نايم؟ أو أن تكون اصطباحتك على صوت مصطفى ابن أبي كامل وهو بيشخط فيك ويقولك: «رحلة عمري» - فيها إيه لو بقت رحلة لجمصة؟ - ولما في يوم لقيته عامل تليفوناته سايلنتس - جمع مذكر شاحن - اقترحت عليه أنه ينزل بنغمة «بوس الواوا» مؤقتا لحد ما تُفرج عليه بنغمة تنزل السقف علينا ونخلص.. وعندما صارحني بأنه يعتبرني مثل أخيه الكبير حلفت له بأنني أيضا بحبه أكتر من نوكيا ٩٧ - يعني حب ٣٢ جيجا - هنا اعترف لي أحمد بأنه دائم التشاجر مع خطيبته لأسباب أتفه من أفلام محمد سعد الأخيرة.. اعترف أيضا بأن النص ساعة اللي بيصالحها فيها في الأسبوع بيبقى بيبني فيها أساس مشكلة الأسبوع المقبل.. حاولت أفهم أحمد إن المشاكل واردة وإنها عاملة زي البهارات في الأكل، قليلة لكن مطلوبة، لكن ليس بهذا الشكل الذي يرشحه للقب أحمد العطار من كتر البهارات اللي بيحطها على الأكل وعلى دماغ خطيبته وعلى كروت الشحن وعليَّ أنا شخصيا، وده لأنه من النوع اللي ما بيعرفش يفصل أثناء الشغل ولأنه أيضا بيتاجر في النكد، فدايما أشعر إني شغال مع حمادة هلال في عز مجد دموع عيونه. وأكدت عليه أيضا إن اللي بيزيد عن حده بيتقلب لضده، بمعنى إن كتر الكلام غلط وأن عليه أن يعرف متى يتكلم ومتى يصمت وأنه يجب عليه أن يسأل عن اختراع اسمه الاشتياق حتى يصبح للكلام

طعم أساسا بدل ما هو بيكلم خطيبته بصوت يشبه كثيرا صوت خدمة العملاء.. بدا عليه الاقتناع بكلامي ووعدني بالتقليل من حجم مكالماته وكمية كروت شحنه.. وللأسف نقض عهده سريعا مع أول عرض نزل من شركة «تيم»، وكالعادة عدت سريعا لنغمات الحزن المجسم، لكن هذه المرة كانت نغمات تركي، لذلك كنت كل يوم أصحى من النوم أقول له: «يا فرحة مهند فينا».. وللأسف أيضا عاد للتليفون بنهم شديد لدرجة أنه كان بيكلمها وهو بيغسل في المواعين، ولما كانت بتسأله: إيه الصوت ده؟ يكذب ويقول لها:

- ده واحد صاحبي جنبي بيغسل المواعين. ساعتها كنت بأعلى صوت بقول له:

- اغسل المواعين كويس يا أحمد.. وهذا مع تكرار اسمه خمس ست مرات للتأكيد فقط لا غير.. وعندما زادت مشاكله مع خطيبته ومع الشواحن اللي بقى بيتلخبط فيها من كتر عددها عاد لي مجددا يشكو لي حاله.. فهمته إنه ما بيسمعش الكلام وإنه بياخد كلامي من هنا ويروح يشتري به كارت شحن من هناك وإنه حاليا في مرحلة الإدمان التي لا ينفع معها سوى حل واحد وهو أن أقوم بأخذ هذه التليفونات منه مع الاحتفاظ بحقه في إجراء مكالمة كل يوم لمدة نص ساعة بشرط أن تكون خالية من العكننة اللي بالتأكيد هعرفها من حالته تاني يوم في الشغل.. لم أصدق عندما وافق، وبالفعل قمنا بتنفيذ الاتفاق، رغم أنني كنت أشعر يوميا بمدى صعوبته عليه، خصوصا عندما كان ينظر بحقد إلى تليفوناته في شنطتي ولسان حاله بيقول:

- وانا كان مالي ومال أم الاتفاق ده؟

كنت أحيانا أشبهه بعادل إمام في مرحلة علاجه من الإدمان في فيلم النمر والأنثى.. وبالفعل وبعد عشرة أيام من المحنة الإدمانية النوكيا شعرت أن

أحمد بدأ يتغير للأحسن وده كان واضح جدا عليه في الشغل وفي غسيل المواعين.. هنا فقط قمت بإرجاع تليفوناته له مع إهدائه نغمتي المفضلة لكي أسمعها يوميا: «بحبك مش هقول تاني».

فصل تانية تاني
٢/٢

يا مواصلاتك يا إيطاليا

نحن لا نحصد اليورو

إحساس رائع إنك تبقى مسافر وعارف إن اللي هيقابلك في المطار هو أخوك اللي انت ما شفتوش بقالك خمس سنين، وده اللي حصل معايا، حيث كان أخويا مالك في انتظاري في مطار مالبنسا الجميل.. وأنا بختم جواز السفر كنت أنظر حولي بلهفة بحثا عن عينيه.. المشكلة أن الظابط كان مُصر إنه يهزر معايا بالإيطالي قبل ما يختم الجواز.. وأنا مش فاهمه لكن ابتسامته العريضة تدل على ذلك، ولو كان بيفهم عربي كنت هقوله: شكرا على حسن استقبالك خليك بقى ظابط واختم عايز أطلع أشوف أخويا أو تخلي الجواز عندك رهن لحد ما أروح أجيبه وأرجع أهزر معاك للصبح لو عايز.. ولم يختم إلا بعد أن سمع مني «ثانك يو»، ومنها فهم اني ماليش في الإيطالي وإن الابتسامة المغلفة بالختم فقط تكفيني.. وبمجرد خروجي من المطار وجدت المعلم مالك أخويا صاحب الـ٢٦ سنة قصادي.. وهعدي اللحظة دي لأن مفيش كلمات تقدر توصفها بجد.. وإحنا في العربية فهمني أخويا إني لازم أسافر خلال يومين تلاتة لجنوب إيطاليا في مدينة كالتاجورني أخلص إجراءات ورقي هناك وإن صعوبة الموضوع تتلخص في إني هسافر بالقطر ٢٢ ساعة ذهاب ومثلهم إياب وإن هناك هيقابلني راجل إيطالي هيخلص كل الورق المطلوب وقال لي إنه هييجي معايا.. فوجئ برفضي وعزمي الشديد على مواجهة الموقف لوحدي وشوية كلام كبير من اللي غالبا بدفع تمنه.. صممت على موقفي وفهمته إن لو في أي مشكلة هيبقى معايا على التليفون.. وفهمت منه كمان إن فيه واحد مصري اسمه بهاء لسه جاي من أسبوع زي حالاتي هيسافر معايا عشان نفس الغرض، وهو تخليص ورقه في الجنوب.. قابلت بهاء بعدها بيومين في محطة ميلانو واتعرفت عليه وهو من نوعية الناس الطيبة أوي، واللي بمجرد رؤيتك ليه ترتاح له وعرفت منه إنه شرقاوي كمان - البلد فضيت - واحنا ماشيين على الرصيف متجهين للقطار المنشود

شفنا منظر جميل.. شفنا بنت - لا مش بنت، أنا كده بغلط فيها - شفنا مُزة بتودع حبيبها المسافر معانا بالقطار اللي نسيناه أنا وبهاء وقعدنا نتفرج على الأمورة اللي كل ما دموعها تنزل رومانسيتها تزيد وحبيبها يبكي ويناشدها التماسك وإلا هيقطَّع التذكرة ويرجع معاها. وسألت نفسي - لأن بهاء كان مزبهل وفي دنيا تانية -: لما الواد مسافر بالقطر وبتعمل كده، أمال لو مسافر بالطيارة هتعمل إيه؟ المهم إني سمعت صوت بهاء - أخيرا - وهو بيسألني:

- إيه ده يا صالح؟

أجبت دون النظر إليه - التركيز مطلوب - إن ده تقريبا حاجة اسمها فن الوداع يا عم بهاء، ويلا نركب لأن ما حدش بيبص عليهم غيرنا أنا وانت.. اتجهنا نحو الكابينة المحددة بالتذكرة وهي لستة أفراد، أنا وبهاء مصريان، ومعنا شاب صيني وآخر أفريقي ورجل عجوز إيطالي وآخر هندي - كنت حاسس إني قاعد في خريطة مش في كابينة - وأخدت أول صدمة بأن فيشة اللاب توب غير متطابقة مع فيشة القطار - كنت هلطم - لأني كنت معتمد عليه كوسيلة تسلية في هذا المشوار الرهيب.. وفكرت سريعا في الحل وهو بهاء، وفهمته إننا عايزين نعدي اليوم بأي شكل واهي فرصة كل واحد فينا يحكي قصة حياته للتاني.. أجاب بحماس: - أكيد طبعا. ومع نهاية كلمة طبعا وجدته يتثاءب،

صُعقت وقلت له:

- يا عم بهاء انت سهران في مصر عشان تيجي تنام هنا؟

صحصح بهاء واقترح اقتراحا رائعا وهو أننا نستغل الوقت الطويل ده في إننا نحفظ كلمات إيطالي.. وافقت على الفور وأخرج بهاء قاموسه الصغير اللي نطق الكلمات مكتوب فيه بالعربي.. واتفقنا في البداية أن واحد ينطق والتاني يردد وراه زي نظام «زرع حصد» زمان.. وبدأ بهاء نطق الكلمات

وأنا أردد خلفه، وكنت هضحك لما لقيت بهاء اندمج وعاش في الدور وهو يقرأ الكلمة بصوت عالٍ كالأستاذ ثم ينظر لي بحسم طالبا حسن النطق زي أي تلميذ ناصح.. واللي كان هيضحكني إني كنت حاسس إن بهاء محتاج يتعلم عربي الأول قبل الإيطالي. ووسط هذا الاندماج اللغوي وجدت العجوز الإيطالي ينظر لنا ويقول: «باستا».. لم أُعِره اهتماما وقلت يمكن «باستا» دي صوت العطسة بالإيطالي وما ينفعش أقوله: يرحمكم الله.. إلا أن الراجل قالها تاني وتالت: «باستا».. «باستا».. توقفنا عن القراءة أنا والأستاذ بهاء اللي سألني:

- الراجل ده بيقول لنا «باستا» ليه؟ ويعني إيه أساسا؟

- قلت له: طالما ما عندوش برد وبيقول لك باستا يبقى أكيد «مبسوت» مننا لأننا بنذاكر لغة بلده.. يلا نكمل عشان «نبسته» أكتر.. واستمر الأستاذ يلقي على مسامع تلميذه - اللي هو أنا - كلماته.. لكن العجوز الإيطالي لم يصمت ناظرا لنا شزرا مرددا لنفس الكلمة: «باستا»..

قلت لحضرة ناظر الكابينة بهاء:

- توقف لأن نظرة الرجل الغاضبة لنا لا يوجد بها ملمح من ملامح «الانبسات»، ويا ريت تدور في كتاب وزن اللي معاك واللي انت فاكره قاموس عن معنى الكلمة ليكون بيشتم ولا حاجة. بدأ بهاء في البحث وسألني: طب حرف البي تقيل ولا خفيف؟ قلت له: دي أربع حروف فقط، يبقى أكيد خفيف.. دي حمولة الكلمة.. دوّر انت بس.. وبعد بحث وزير تعليمي عن الكلمة قال لي:

- إن «باستا» معناها: كفاية، ما تقلقش.

قلت له:

- كفاية وما أقلقش؟ يعني إيه؟ تفتكر الراجل ده يبقى تبع حركة «باستا» الإيطالية ودي دعوة منه لينا بالانضمام ليها؟

ضحك وقال لي:
- تصدق ممكن؟ قلت: لا طبعا لأن الناس هنا «مبسوتين» على الآخر ومش محتاجين أي «باستا». الراجل ده يقصد بأنك بتنطق الكلام غلط يا أستاذ بهاء وإنه زهق من إصرارك وصوتك اللي جايب آخر القطر.
رد على كلامي بتثاؤب عميق..
قلت له:
- يعني هتنام وتسيبني قاعد أكلم نفسي في الأطلس ده؟
رد عليَّ بموضوع تاني خالص وقال لي:
- تخيل إني وانا في مصر كنت متخيل إيطاليا دي غير كده وإني أول ما هاجي هلاقي شغل وهمسك فلوس، جيت لقيت إن فيه ناس كتير بقالها شهور بتشتغل عشان تاكل وتشرب بس، وإن الحياة ليست وردية كما كنت أتخيل وإن الواحد لازم يبقى مستعد نفسيا إنه هييجي يتبهدل هنا عشان ما يجيش متفائل يتصدم هنا زي حالاتي.. أشرت له بالتوقف عن الكلام وقلت له: «باستا» يا عم بهاء، انت بقالك أسبوع هنا مش أكتر ومفيش داعي للتشاؤم ده وإلا هرمي نفسي من القطر. إحنا هنسعى وهنقول يا رب ولكني أتفق معك في صعوبة المشوار وأننا إذا كنا لا نزرع الشوك في مصر فنحن لا نحصد اليورو في إيطاليا.

الشراب الدامي

طبيعة المشوار الطويل فرضت علينا أنا وبهاء أن يحمل كل واحد منا شنطة مليئة بكل ما لذ وطاب من العصائر والفاكهة وشرائح الكيك والعيش والجبنة واللانشون والتونة - مسافرين مشي؟ - وعندما بدأ الجوع يراود أمعاءنا، قال لي بهاء:

- ما تيجي ناكل؟

قلت له:

- فكرة عظيمة تستاهل عليها ساندويتش. افتح الشنط بسرعة. وأخرج بهاء الأكل بسرعة زي ما يكون كان جعان وناسي ثم نظر لي بعد أن نظر لأعضاء الكابينة وقال لي أنا هعزم على الناس دي بالأكل.. إيه رأيك؟

قلت له:

- يا عم بهاء أنا راجل بقالي يومين هنا بس، لكن انت بقالك أسبوع وأكيد بقيت ضليع في اللغة. اتفضل اعزمهم بدون اللجوء للقاموس الفاسد اللي معاك.. لقيت بهاء تصرف بذكاء بعد أن رسم على وجهه ابتسامة ودودة ومدَّ يده بالخير وبساندويتش جبنة في صمت تام ولكن معبر للأفريقي الذي بادله الابتسامة الكريمة بابتسامة تقدير وعرفان وشوق للجبنة.. ناولت بهاء ساندويتش جبنة آخر وقلت له:

- ادي ساندويتش الجبنة ده للصيني بس غيّر ابتسامتك وخليها قصيرة شوية عشان تبقى مناسبة ليه..

نظر بهاء للساندويتش وقال لي:

- طب ما تخليها لانشون..

قلت له:

- المساواة في الجبنة عدل.. وبالفعل تناول الصيني الساندويتش بابتسامة خاطفة زي ما يكون ضحك في سره.. وتكرر الأمر مع جميع أعضاء الكابينة غير الكرام.. وبهاء كان مبسوط وحاسس إنه أدى رسالته في القطر.. بعدها

بشوية لقيت الصيني مطلع شوكولاته وبياكل فيها دون النظر لأي حد في الكابينة ولا حتى لنظرة بهاء النارية له وللشوكولاته البريئة من نتانة الصيني الربع متر.. لم أصمت وأوضحت لصديقي بهاء الطائي أن طبيعة هذه الشعوب تختلف عنا تماما.. وما تنساش إننا كشراقوة عزمنا القطر في مصر وانت تؤدي نفس الرسالة في إيطاليا.. وتكررت نظرات بهاء النارية؛ لأن تقريبا كل أعضاء الكابينة كلوا وشربوا بنفس طريقة الصيني.. ولم يغير هذا الجو سوى دخول متسول إيطالي للكابينة. أيوه متسول إيطالي. ولكن يختلف عن اللي عندنا خالص؛ لأن المتسول طرق باب الكابينة بكل حنان قبل الدخول علينا بجيتاره العتيق مرتديا زي الكاوبوي ناظرا إلينا بكل حماس مصطنع - أصول الصنعة - بادئا في العزف على أوتار الجيوب طمعا في الحصول على يورو.. ولم يُعِره أحد اهتماما غيري أنا وبهاء لأننا أول مرة نشوف كده.. انتبهت وقلت لبهاء:

- نفض يا معلم لأن اهتمامك ده ممكن يبقى بفلوس، ونصيحة مني اعمل نفسك نايم..

قال لي:

- على مين؟ مش ممكن أديله طبعا لأنه ما يستاهلش.. ده غير إنه بيشحت ليه أساسا وهو عامل زي الحيطة؟

قلت له:

- ما تظلمش الراجل ما يمكن بيعمل دعاية لألبومه الجديد «شحات الغرام»..

قال لي:

- يعني انت ممكن تدي واحد زي ده داخل عليك بجيتار يورو؟

قلت له:

- في حالة واحدة بس.. لو سمعني مقطوعة من موسيقى الضوء الشارد،

ساعتها هبقى أكرم من رفيع بيه وهديله يورو.. بعدها تمكَّن اليأس من سيمفونية المتسول الإيطالي وخرج من الكابينة لندخل في سيمفونية أخرى؛ لأن الأفريقي أخرج «إم بي فور» واضعا سماعاته في أذنيه وبدأ في الاستماع لأغانٍ مغمضا عينيه ويبدو، والله أعلم، أن الأغنية كانت صعبة عليه شوية أو فكرته بهروب غزالته منه في الأدغال الأفريقية لأنه بدأ في التفاعل مع كلمات الأغنية مرددا كلماتها المرة - أكيد كلمات مصطفى كامل - وهو في غاية التأثر.. انتهت الأغنية ودخلنا في أغنية تاني فرايحي وعرفت حالتها من حالته لأنه بدأ يتراقص وهو ما زال مغمض العينين زي ما يكون بيسمع ترجمة لأغنية «غمض عينيك».. المهم أن بهاء كان مبسوط بالموقف ونسي بسرعة موقف الساندويتش.. وازداد تفاعل الأفريقي مع الأغنية التي كان يبدو أن من شروط سماعها جيدا إنه يقلع الكوتشي - أكيد أغنية «حافية القدمين» - وهنا كانت بداية النهاية؛ لأن ريحة الشراب كانت لديها قدرة فائقة على سحب الأكسجين من الكابينة.. فعلا هو قلع الكوتشي من هنا وعينك ما تشوف إلا النور المقطوع.. ولم أكن المتأثر الوحيد بقسوة الشراب الأفريقي؛ فبهاء كان يحاول جاهدا مثابرا ترك الكابينة والشعبطة في الشباك دون جدوى.. والكهل الإيطالي الباستاوي ينظر لقدم الأفريقي المندمج في الأغنية مغمغما بكلمات لا تحتاج إلى ترجمة.. أما الصيني يا عيني عليه لم يضيع وقته في الألم من ريحة شراب الحبايب واكتفى بكلمة «أف» واضعا يده الصغيرة على أنفه الأصغر مكملا النظر لسقف القطار.. بهاء قال لي:

- الحيوان ده لازم يلبس الكوتشي.. هو لابس الشراب من إمتى؟

قلت له:

- مش ممكن يكون لبسه.. ده مولود بيه ومحتفظ بيه ذكرى غير طيبة الرائحة.. قال لي:

- طب والحل؟

قلت له:

- طب إحنا ممكن نتحمل شوية يا بهاء، لكن عمك باستاوي العجوز باقيله ربع ساعة ويبقى ضحية الشراب الدامي.. والراجل الصيني أكيد مضروب وهيفيَّص برضه.. والهندي المسكين زي ما انت شايف غمض عينيه وأكيد عمال يغني «ناري نارين» من الفردتين.. اسمع كلامي وتعالى نطلع من الكهف ده نقابل شوية هوا بره. سمع بهاء كلامي بأمر مباشر من الرئتين وخرجنا بره أشلاء الكابينة.. اتمشينا في الطرقة لآخر العربية.. لقينا أربع عواجيز إيطاليين الشباب منهم عنده ستين سنة - قطر دار المسنين - وكل واحد ماسك سيجارة بيشرب فيها بعيدا عن عيني الكمسري؛ لأن التدخين ممنوع في القطر.. فكروني بعيال ثانوي وهما بيشربوا أعقاب السجاير الفرط في الحمام، خصوصا إن كل شوية واحد فيهم يمد رقبته ويبص على الكمسري لتحصل كبسة ثم يعود إليهم من نظرته بابتسامة أمل الحصول على نفس آخر. ولم أجد تعليقا مناسبا غير جملة محمد رضا: عجبت لك يا زمن. عجبني الموقف لفترة معينة وقلت لبهاء:

- يلا نرجع قبل ما نتمسك بتهمة التستر على شوية عيال كبار أوي سبارسية بيدخنوا في سن الضياع.. عدنا إلى الكابينة وجدنا أن الأمور الهوائية الجوية الشرابية قد استقرت؛ لأن الأفريقي ربنا هداه ولبس الكوتشي المظلوم مع شرابه. وعاد جميع سكان الكابينة إلى وعيهم ما عدا العجوز الإيطالي - الجرعة كانت شديدة عليه شوية - وبمجرد جلوسي وجدت القاتل الأفريقي يحدثني بالإيطالية رحت لاحقه بجملة حافظها من وانا في مصر وهي: «نو بارل تاليانى بيني».. وترجمتها: «لا أتحدث الإيطالية جيدا».. وكان نفسي أشيل كلمة «جيدا» وأضع مكانها كلمة «خالص» لكي يكون هناك صدق في الجملة.. أُحبط الأفريقي وشعرت أنه

يريدني في أمر مهم رغم عدم وجود رائحة معرفة بيني وبينه - توجد فقط رائحة شراب - فبادرت بسؤاله:

- «دو يو سبيك إنجليش؟»..

أجاب بفرحة:

- «نعم»..

فكرت إني أقول له:

- «ازاي تبقى مثقف كده ومش عارف إن لبس الشراب أكتر من خمس سنين خطر عليك وعلى الناس وعلى ثقب الأوزون وإنك ممكن تتحبس في سجن اليونيسكو الانفرادي؟».. المهم إن الراجل طلع عايز يتعرف بينا؛ لأن ملامحنا وساندويتشاتنا عربية.. وتعارفنا عليه وطلع سنغالي واسمه كمارا وبيحب مصر جدا. حلفته بالغالي ما ينزلهاش عشان صحة العيال هناك، ولو طلبت معاه أوي نزول ونفسه يشرب من نيلها يبقى من المطار على مقر الحزب الوطني على طول.

هتمرد ع المترو الحالي

تعالى نحسبها سوا.. لما تلاقي نفسك وحيد في سكن في غربة.. وغير مسموح لك بالخروج تحت دعوى إنك ما تعرفش حاجة في البلد ولا معاك لغة وممكن تتوه ويدوروا عليك بميكروفون في ميلانو: مصري تايه يا ولاد الحلال - مش حلال أوي - وتلاقي نفسك لازم تستنى يوم أجازة حد في السكن عشان تروح المكان اللي هو عايزه واللي غالبا بيبقى محل جزارة عشان تشيل معاه لحمة الأسبوع.. ساعتها هتحس إنك زي عمرو دياب وإن الملل بقى «تمللي معاك» والغربة بقت «أيام وبنعيشها».. ولما يبقى الزهق «كده عيني عينك» ساعتها لازم تقول «هتمرد ع الوضع الحالي».. وده اللي حصل معايا بعد عودتي من رحلة الجنوب بمدينة كالتاجورني وعودتي للشمال واستقراري بمدينة ماريانو.. وعندما أخذت قرار التمرد شجعني صديقي سامح على الخروج وأن أذهب إليه في مدينة كولوندو، خصوصا إنه في أجازة..

قلت له:

- طب أنا أجيلك ازاي من ماريانو؟

قال لي:

- الوصفة سهلة جدا، انت هتطلع من باب البيت عندك تاخد شمال ٣٠٠ متر هتلاقي حديقة تخليها على يمينك ٥٠٠ متر.. لحد ما توصل تقاطع مرور.. تاخد شمال في يمين هتلاقي محطة الأتوبيس تركب رقم ٢٢١ وتنزل محطة سيستو سان جوفاني، ودي آخر محطة، يعني افضل قاعد لحد ما السواق يطردك.. المسافة حوالي ساعة.. هتركب بعدها المترو الأحمر من سيستو تروح لوريتو تغير وتركب المترو الأخضر للدومو.. تنزل وتركب المترو الأصفر سبع محطات لحد ما توصل محطة كولوندو.. فهمت؟

قلت له:

- أنا فهمت من وصفتك إننا نتقابل في مصر أسهل..

سألني بدهشة:

- ليه بس؟

قلت له:

- لأني ما اعرفش من وصفتك الطويلة غير باب البيت، وممكن أسأل عليه وأنا خارج.. لاطلع من باب غلط.. وإيه الأحمر والأخضر والأصفر ده؟ أنا هركب مترو شم النسيم يا سامح؟

قال لي:

- أنا ممكن آجي أجيبك بس لو عايز تتمرد صح تعالى لوحدك..

رديت عليه بأغنية:

- «يا مثبتني بأحلى عذاب».. المهم إني وافقت واتفقت معاه إني لما أتوه هتصل بيه.. قال لي إنه واثق فيَّ - ما اعرفش جاب الثقة دي منين - قفلت معاه وارتديت ملابسي وخدت معايا الـ«لاب توب» على كتفي وأنا خارج من باب البيت قلت: يا رب لو تهت أتوه في حتة قريبة من هنا عشان ما يدوروش عليَّ كتير.. خدت شمالي الـ٣٠٠ متر اللي قال لي عليهم سامح ولم أجد الحديقة مشيت كمان ٢٠٠ متر ولم أجدها أيضا.. قعدت أفتكر: يا ترى هو قال لي ٣٠٠ متر ولا ٣٠٠ كيلو؟ قلت: لا مش ممكن.. لو ٣٠٠ كيلو كان قال لي خد معاك العجلة.. طب أتصل عليه؟ عيب هيقول تهت بدري بدري وهتبقى رقبة ثقته فيَّ أد السمسمة.. قررت مواصلة المشي، وبالفعل بعد ١٠٠ متر وجدت الحديقة.. حسبتها لقيت سامح قال لي إنهم ٣٠٠ طلعوا ٦٠٠.. فهمت إنه نسي وقسم على اتنين.. سامحته لأن الحديقة جميلة جدا.. حديقة مليئة بأطفال غاية في البراءة.. ومزز ضد البراءة.. قررت إني أتمرد على وصفة سامح وأتمشى في الحديقة.. أطفال سكر بجد - نور أكثر سكارة - وأنا ماشي صدمتني بنت عمرها لا يتعدى ٣ سنين بعجلة صغيرة جدا وزنها لا يتعدى كيلو.. داعبتها متظاهرا بتأثري

الشديد من الحادثة الرقيقة.. لقيتها رقعت ضحكة ملائكية وبتقول لي زي القطه: تشاو.. ضحكت وقلت لنفسي: انتي لو في مصر هتبقى أول جملة تعرفيها: تف على عمو.. غادرت الحديقة واعدا نفسي بتكرار زيارتها.. خليت الحديقة على يميني ومشيت كمان كيلو واللي سامح ظلمه وقال عليه نص كيلو – ما بيعرفش يوزن - تعبت من المشي وفكرت أتصل بسامح أكدب عليه وأقوله إني كسلت أطلع من البيت وأروحله رغم إن وصفته دقيقة وسهلة وممكن أوصله وأنا مغمض.. افتكرت عمرو دياب كملت مشي.. وصلت التقاطع وخدت يمين في شمال لقيت محطة الأوتوبيس.. بحثت عن الرقم المنشود في وصفة صديقي اللدود.. وجدته.. أوتوبيس أزرق رائع.. مكيف.. منظم.. غير مليء بالسكان.. بالظبط زي أوتوبيس ٦٢ العباسية - الحي السادس.. واللي كان كل ما أركبه أعرف قيمة نعمة الأكسجين.. قعدت وبمعنى أدق اتسلطنت في القعدة وفتحت اللاب توب وشغلت النت - هيصة بقى - جلس بجواري رجل إيطالي عنده فضول غريب في النظر لصفحتي على الفيس بوك.. وفضول أكثر وهو ينظر لشات الياهو وأنا بكلم صديقة في مصر.. قلت لنفسي: أكيد فضول عابر وهيروح لحاله.. خاب ظني لأن فضوله زاد بعد أن اقترب بوجهه المغلف بابتسامة بلهاء من اللاب توب.. فكرت أحط اللاب توب على حِجره.. رغم ثقتي التامة إنه مش فاهم ولا حرف، ومع ذلك مستمتع بشكل غريب.. قررت أزود متعته وفتحت فولدر شعبي وشغلت أغنية لشعبولا وقلت ابقى قابلني بقى لو فهمت حاجة إذا كنت أنا نفسي مش فاهم.. أتت الكمسرية الجميلة علينا - كمسرية لا تختلف في زيها ولا ابتسامتها عن أجدع وأجمل مضيفة في «مصر للطيران» - فيها إيه لو احترفت في مصر؟ - المهم اني فعلا استمتعت بمشوار الأتوبيس السياحي ده.. ونزل الفضولي بعد أن تشبع من الأغاني الشعبية.. وبالفعل بعد ساعة

وجدت نفسي وحدي في الأتوبيس.. وما كنتش محتاج السواق يطردني لأني قريت اسم محطة سيستو سان جوفاني.. نزلت من الأتوبيس بثقة ابن البلد.. لأجد نفسي في مكان حيوي جدا يشبه ميدان التحرير عندنا.. تأملت المكان جيدا وبحثت عن حرف إم بتاع المترو.. لم أجده.. قررت عدم الفزلكة تحت «اللي يسأل ما يتوهش».. و«اللي يتوه يوصل تاني يوم».. وقررت أيضا عدم الاتصال بسامح.. وإني أبحث عن أي ملامح عربية أسأل صاحبها عن المترو الأحمر الأهلاوي.. خانني التوفيق في أول واحد سألته لأن ملامحه عربية تماما، ولما قلت له: انت عربي؟ ابتسم بصمت.. أعدت على مسامعه الجملة ابتسم أكثر - جاي إيطاليا يضحك ويرجع - سألته بإيطالي ركيك وحنين: بارل أراب؟ يعني: بتتكلم عربي؟ قال لي: نو.. أيو باكستاني.. وسألني: بارل تالياني؟ قلت له بالعربي: أيوه بتكلم إيطالي بالليل بس وزي ما انت شايف الشمس طالعة.. غور يا عم الحاج.. الغريب إنه ضحك زي ما يكون بيتكلم عربي وبيشتغلني.. قررت أن أبحث جيدا هذه المرة، وبالفعل عثرت على ضالتي؛ حيث تم العثور على شاب مغربي.. عرفته من ملامحه بس ظبطت النضارة المرة دي.. سألته بالعربي: انت عربي؟ قال لي بالإيطالي: سي. يعني نعم.. قلت له: يا راجل قول أيوه.. آي نعم.. بلى.. حيثما.. أي كلمة عربي أفهم منها إننا دم واحد.. اتصدمت بشدة لما كلمني مغربي لأني ما فهمتش ولا حرف بجد.. وهو بيتكلم كنت بدور بعيني على الواد الباكستاني اللي بيضحك بس.. قاطعت المغربي وقلت:

- أنا مش فاهمك حاول تفتكر لغتك وحط قُدام عينك جامعة الدول العربية وكلمني..

رد عليَّ بكلام أغرب من المغربي الأولاني.. المشكلة إنه كان فاهمني بس مش قادر يفهِّمني.. قلت له:

- بلاش تتكلم شاور أحسن.. فين المترو الأحمر؟
شاور على شارع على يميني..
قلت له:
- شكرا يا عم العربي المزيف.. سلاااام يا صاحبي.. مشيت لحد ما وصلت سلالم محطة المترو.. حسيت إني داخل على متاهة..
قلت:
- ربنا يستر. ونزلت.

عوض الحقيقي

البني آدم فينا طماع، بمعنى إنك لما تبقى تايه وحاسس إنك غريب في بلد أغرب وعايز توصل لمكان.. ساعتها تسبقك عينك في البحث عن أي طوق نجاة.. حد بيتكلم عربي.. حد فاهم عربي.. حد سمع عنه في الأفلام العربي.. لكن لو فجأتن - فجأة بالتشكيل - لقيت نفسك أمام شلة عربية عموما ومصرية تحديدا، ساعتها بتطلق تنهيدة ارتياح وتبدأ تفكر وتختار: يا ترى هسأل مين فيهم؟ وده كان إحساسي أول ما ركبت المترو من سيستو؛ حيث وجدت نفسي وجها لوجه أمام عدد غير قليل من المصريين، وبدأ التساؤل مع نفسي: يا ترى أسأل الأخ اللي بيردح لخطيبته في التليفون معبرا لها عن استيائه من ميسداتها الكثيرة مؤكدا لها أنه باقي له رنة ويترحل؟ قلت لنفسي: لا.. الراجل مش في المود خالص ومش طايق صوت نغمات تليفونه.. هبقى أنا وخطيبته والزمن وتليفونه عليه؟ طب أسأل الاتنين اللي قاعدين يتكلموا عن اللي حصل في الشغل وازاي واحد فيهم قدر يقنع الإيطالي بصعوبة الشغلانة رغم إنها ما تاخدش نص ساعة، لكنه عملها في عشر ساعات - شعب فهلوي - طب أسأل واحد فيهم دلوقتي ولا أستنى لما يخلصوا حوار فيلم الإيطالي والشطار؟ لم يقطع ترددي وتفكيري سوى صوت ميادة الحناوي.. أنا بعشقك أنا.. أنا كلي لك أنا.. التفت لأجد شابا مصريا في أواخر العشرينات من عمره مرتديا ملابس العمل.. حاملا في كتفه شنطة عدته.. وفي يده تليفون نوكيا ومشغل ميادة ومتسلطن.. هو ده.. ودون تردد اتجهت إليه؛ فهناك نوعية من البشر ترتاح إليها بمجرد رؤيتها.. وبمجرد إلقائي السلام عليه قام بإخفاض صوت ميادة ورد السلام.. سألته عن كيفية الوصول للمترو الأخضر من لوريتو.. وعندما رد بأنه نازل معايا فكرته بأن ميادة ما زال صوتها منخفضا وأن ده ما يصحش ويا ريت نستمتع سوا بصوتها الحنين.. أجابني بحماس: ميادة دي أستاذة، خصوصا في الأغنية دي.. بتسلطنّي وانا شغال.. واخد بالك؟

قلت له: أكيد يعني لما بتسمعها ومن فرط إحساسها وحنيتها بتحس إنها تقصدك بالكلام.. مش كده؟

قال لي:

- مش أوي كده يا عم.. انت اسمك إيه؟

قلت له:

- صالح من الشرقية.. وانت؟

قال لي:

- أخوك عوض من الفيوم.. وعندما علم عوض أني في إيطاليا منذ أقل من شهر وجدته يبشرني بالمرمطة لحد ما ألاقي نفسي.. لم أتضايق منه بل داعبته بأنه طب ما ينفعش ألاقيها الأول وبعده كده نتمرمط سوا؟ أجاب بالنفي، متذكرا أنه أتى هنا من حوالي أربع سنين.. شاف الويل أول سنة واتعلم صنعة السباكة تاني سنة وبعدها ابتسمت له ميلانو تالت ورابع سنة.. دعوت له بدوام ابتسامة ميلانو وأن ربنا يكرمه لحد ما يلاقي الاتحاد الأوروبي كله بيضحك له ويهزر معاه.. فهمت من كلام عوض بعدها أن مشكلته الكبيرة في البداية إنه ما كانش جاي على حد ولا يملك سوى تأشيرة وشنطة ملابس و٣٨٠ يورو سالف نصهم من الأهل والأقارب والأصدقاء.. وإنه في أول سنة وصل لمرحلة النوم في حديقة كنيسة.. لحد ما اشتغل في مطعم بيتزا يملكه مغربي بأكله وسكنه فقط لا غير.. ثم تعرف على سباك مصري اتعلم منه الصنعة بعدها.. فهمت إن عوض من نوعية ناس هنا جابتها من تحت الصفر.. ناس جت هنا وما لهاش حد تعرفه وما قالوش غير يا رب.. ناس عندها إصرار إنها تكمل مهما كانت البداية لا تبشر بأي خير إيمانا منه بأن ربنا مش هيضيّع تعبه.. ناس عندها القدرة على التعامل مع مختلف فئات البشر.. والمرونة في التعامل مع المواقف.. ناس مؤمنة بأن الغربة مدرسة بجد وكل يوم تتعلم فيها حاجة إن لم يكن

حاجات كثيرة.. ناس الجدعنة في دمها.. عوض عزم عليَّ بفلوس بشدة رغم إن معرفتي بيه لم تتعدى النص ساعة.. ظنا منه أنني أعاني نفس أو جزءا من ظروف بداياته ولم يقتنع برفضي إلا بعد أن رأى بعينه أن محفظتي مستورة.. ومع وصولنا محطة لوريتو تبادلنا أرقام التليفونات، مؤكدا عليَّ الاتصال به في أي وقت أحتاجه فيه.. شكرته على ذوقه واهتمامه وعرفت منه كيفية الوصول للمترو الأصفر من محطة الدومو ولم يتركني صديقي الجديد عوض إلا وأنا راكب المترو الأخضر.. الذي بحثت فيه عن عوض آخر ولم أجد.. قررت الاكتفاء بشرح عوض الحقيقي.

فصل تالتة تالت

٣/٣

بالهنا والشفا

عطشان تعالى اطبخ

كل سنة وانتوا طيبين.. رمضان ع الأبواب والفوانيس ع الشبابيك.. ولأنه تاني رمضان ليَّ هنا على التوالي.. ولأنه أيضا المغرب بيأذن هنا على تسعة إلا تلت وانت طالع - ده لو قدرت تطلع يعني - كان لا بد أن يدور هذا الحوار بيني وبين معدتي واللي أنا اليومين دول مدلعها وبقول لها يا ميمي عشان تقدر تقاوم.

ص: ميمي حبيبتي.. ازيك؟

ميمي: أهلا يا أخويا.

ص: مالك لاوية بوزك وشكلك قالب على بنكرياس كده ليه؟

ميمي: يعني انت مش عارف؟

ص: لا سمعيني صوتك.. ولا انتي شاطرة تصوصوي وخلاص؟

ميمي: من الآخر كده بقى أنا مخاصماك.

ص: مخاصماني؟ طب ومين اللي هيهضم؟ ولا على بال ما نتصالح أركن الأكل في القفص الصدري؟

ميمي: يعني لو قلت لك إيه اللي مزعلني هتقدَّر موقفي؟

ص: طبعا.. هو أنا ليَّ كام ميمي؟ ده هي ميمي واحدة ورئتين جنبها.. قولي لي إيه اللي مزعلك فيما لا يزيد على سطرين؟

ميمي: كل سنة وانت طيب.

ص: فين بقية السطرين؟ وبعدين هو انتي لما بتبقي زعلانة بتقولي كده؟ أمال لما تبقي فرحانة هتقولي لي إيه؟ قلبي عندك؟

ميمي: من الآخر كده، ده تاني رمضان ليك في إيطاليا.. ينفع كده؟ أهون عليك ويهون عليك العيش والهضم اللي بينا؟

ص: ليه بس كده يا ميمي؟ هو أنا بفطر في الصالة وأسيبك قاعدة في الأنتريه؟ ما احنا بنفطر مع بعض.

ميمي: يا سلام!

ص: طبعا.. ده انا حتى ساعات بسيبك تتسحري لوحدك وأخش أنا أنام.. فاكرة؟

ميمي: اللي أنا فاكرة إنك مش واخد بالك من حلاوة وطعم رمضان في مصر.. تقدر تقول لي هتجيب لي منين عرق السوس؟

ص: ما تقلقيش.. هجيب لك عرق السوس وعرق الطول كمان لو عايزة.

ميمي: طب انت مش واخد بالك إن المغرب هنا بيأذن على تسعة إلا تلت وفي مصر على سبعة؟

ص – بحدة -: اوعي تكوني بتفكري في إنه أنا بما إني مصري فيجوز إني أفطر على توقيت مصر.. انسي يا ميمي.

ميمي: لا ناصح.

ص: قصدك لا صالح.. وبعدين انتي تطولي تفطري بيتزا وتتسحري فول بالجمبري مش بالزيت الحار؟

ميمي – بثقة -: لا فطرني انت في مصر إن شالله يكون في طرة.. واهو فرصة نفطر مع العادلي ونتسحر مع صفوت.

ص: لا لا يا ميمي.. إحنا لو رحنا طرة هنفطر عليهم مش معاهم.. الناس دي كانوا بيخلونا كشعب نصوم طول السنة على حقوقنا مش الأكل والشرب بس.

ميمي: لو سمحت ما تغيرش الموضوع.

ص: ما أغيرش الموضوع؟ هو انتي بتكلميني في السياسة وأنا بقولك الماتش كام كام؟

ميمي: طب لو السياسة بقت ماتش فعلا.. تقدر تقول لي النتيجة كام كام؟

ص: حتى الآن يا ميمي النتيجة واحد صفر لصالح ميدان التحرير.. لكن فيه مشكلة.

ميمي – بدهشة -: مشكلة إيه؟ ما احنا فايزين أهو.
ص: يا ميمي ميت مرة قلت لك ما تبقيش سريعة الهضم والحكم؛ لأن المشكلة إننا لسه في بداية المباراة.. وواحد صفر دي ما تطمنش.
ميمي: ليه يعني؟ إحنا بنلاعب ميسي؟
ص: اللي احنا بنلاعبه أكتر خطورة من ميسي وأكتر دهاء من مارادونا ومالوش علاقة بغباء عمرو الصفتي، مدمر دفاع القلعة البيضاء.
ميمي: مش فاهمة.
ص: طبعا مش فاهمة.. ما انتي شاطرة بس أنا آكل وانتي تهضمي.. صوصوي.. قصدي صحصحي معايا.
ميمي - بخضوع، بعد أن شعرت بخطورتي وأنا عامل فيها حمش -: اشرح يا سي الأستاذ.
ص - بعد أن تنحنح -: إحنا جبنا الجون ده يوم ٢٥ يناير لما هزمنا ضعفنا جوانا وقلنا لأ وإحنا على حق.. لما قلنا للغولة في وشها عينك حمرا وليلتك زرقا.. لما كانت كلمتنا واحدة ومفيش حاجة اسمها حزب ولا حركة ولا خلافه.. كان فيه حاجة اسمها شعب يا ميمي.. ولو عايزين نفوز بالماتش لازم نفضل شعب؛ لأن لو كل واحد لعب لوحده هنبقى زي الزمالك اللي انا وانتي بنشجعه يا ميمي.
ميمي – بلهفة -: طب قول لي مين اللي جاب الجون؟
ص: الشهداء يا ميمي اللي جابوا الجون.. الشهداء اللي حطوا عمرهم وأحلامهم وطموحاتهم في كفة ومصر في كفة.. ولما كفة مصر رجحت ما استخسروش حياتهم فيها.
ميمي: تعرف إن كلامك عن ميدان التحرير فكرني بـ«أبو طارق» وجوعني يا بيبي؟
ص: ده على أساس اني كنت بكلمك عن مدى أهمية الكشري في الثورة

المصرية؟
ميمي - بحدة وبصوت عالٍ -: لا يا اخويا كلمني عن رمضان وقول لي هتعمل إيه.
ص - متلفتا حوله -: وطي صوتك فرجتي علينا كرات الدم الأهلاوية الحمرا..
ميمي: أنا حاسة إنك هتعمل في رمضان زي ما كنت بتعمل وانت في خامسة ابتدائي.. فاكر؟ كنت تروح تلعب كورة وترجع تستحمى وتعمل نفسك مش واخد بالك والميّه بتنزل في بؤك.
ص: انتي ما بتنسيش حاجة أبدا؟ وبعدين الحق عليَّ إني كنت بنضفك.
ميمي: تنضفني ولا تسقيني يا بيبي؟ وبعدين فيه حد يلعب كورة ربع ساعة يقوم يستحمى بعدها ساعتين؟
ص: طول عمرك مبالغة على فكرة.. لأنهم كانوا ساعتين إلا ربع بس.
ميمي: طب قول لي بجد بقى وبما إنك نويت على رمضان الإيطالي.. هتفطرني إيه هنا؟
ص - يهرش مفكرا -: بصي يا ستي وما سيدك إلا أنا.. هنجيب كباب تركي وجبنة فرنسي ومكرونة إيطالي وفراخ إسباني وسلطة ألماني.. وأنا وانتي.
ميمي: خلاص ابقى فكرني نفرش الأكل على خريطة الاتحاد الأوروبي ونحط كل طبق على الدولة بتاعته.
ص: هي فكرة.. بس المشكلة في ألمانيا.
ميمي: مالها؟
ص: مساحتها صغيرة وانتي عارفاني بحترم طبق السلطة.

باميه كشف الكذب

منذ أن هبطت الطائرة بحمد الله وسلامته إلى أرض مطار مالبنسا بميلانو وأنا أبحث عن حلول للمشاكل والعقبات التي ستواجهني في هذا البلد الغريب.. وأولاها مشكلة اللغة؛ لأني في الأول كان اللي يقول لي جراتسيا كنت بقوله إن شالله انت.. ولكن بعد فترة أيقنت أن إجادة اللغة تحتاج إلى اجتهاد وتعب.. والحمد لله مع الوقت والتعب والإجادة فهمت شوية وعرفت إن اللي يقول لي جراتسيا لازم أقوله لا جراتسيا على واجب.. وواجهتني أيضا مشكلة تغير الأحوال الجوية والطقسية لأني شرَّفت إيطاليا في أواخر فصل الشتاء كما كنت أزعم، لكن مع أول لسعة برد في المطار كنت أبحث جاهدا متكتكا من البرد عن أقرب مكان أفتح فيه الشنط وأرتدي كل ما فيها.. وعرفت إن الجو في إيطاليا زي الحكومة في مصر، يعني كل ساعة بحال.. ولكن لم يخطر على بالي مشكلة كبيرة واجهتني هي مشكلة الأكل.. ودي مش طفاسة مني وإنما هي معدتي الموقرة التي تعودت على المسبك أكتر من تلاتين سنة، يعني أشغال شاقة مسبكة.. فجأة وجدت إن معدتي تم حرمانها من كل ما لذ وطاب من أنواع الطبيخ؛ لأن البلد هنا مكرونة أو بيتزا زي الأهلي والزمالك عندنا.. وطبعا أنا كنت محايد، يعني بشجع الأكلة الحلوة.. لكني زهقت بصراحة بعد مرور شهرين من الأكل ده، خصوصا المكرونة اللي كل يوم باكل نوع جديد بشكل جديد بس يندرج تحت بند مكرونة برضه.. وللأسف كل ما أشكي لأصدقائي حال معدتي اللي وحشها المسبك يسخروا مني بجملة: هتفضل مصري وأرد عليهم بأن المصري هيفضل مصري، النيل رواه والطبيخ مظبط الدنيا معاه.. واستمر الحال إلى أن صعبت على صديقي سمير - معي في السكن - وقال لي:

- أنا هخليك تاكل بامية مصري النهارده.. فرحت جدا، ومن فرط سعادتي غنيت له: يا حلوة يا بامية يا مأمّعة.. واكتملت سعادتي بعد أن عرفت

إنه هو اللي هيطبخها وانه معاه شهادة من أبلة نظيرة بأنه شيف محترم.. فرحت لأن العبد لله خيبة في الأكل ولو طبخت برمي نص الأكل واسيب النص التاني أتحسر عليه.. أحضر سمير الأدوات ودخل المطبخ وحاولت كثيرا أن أقف بجواره لكي أعرف سر الطبخة إلا أنه كان يطردني دائما بكل ثقة وأنا متحمله عشان خاطر البامية اللي باللحمة الضاني كمان.. وكنت بصبّر نفسي بإني بعد أكل البامية هطرده من الشقة كلها مش من المطبخ بس.. وجاءت اللحظة الحاسمة.. لحظة وضع الأكل على السفرة وسط صيحات الثقة المفرطة من سمير وابتسامات الامتنان المؤقت مني.. لكن مع أول نظرة مني للبامية ابتلعت ابتساماتي وحلت محلها الدهشة؛ لأن اللي شفته مش البامية اللي أنا أعرفها خالص.. حاولت أقنع نفسي بإني ممكن أكون نسيت شكلها من كتر ما وحشتني بس ما قدرتش.. سألت سمير بحياء مصطنع: هي البامية عاملة كده ليه؟

صرخ بثقة: كُل يا جاهل، هي دي البامية..

عجبتني ثقته وما عجبتنيش «يا جاهل» وعزمت على محاسبته بعد الأكل..

قلت:

- بسم الله واتجهت نحو الطبق الكبير - متوصي بيَّ الراجل - حسيت إن الطبق محتاج صنّارة مش معلقة لأن البامية كانت بعيدة أوي وقليلة أوي وغرقانة في نهر الصلصة وشكلها غريب أوي.. استعذت بالله وأكلت.. كتير.. أوي.. أنا وسمير وعمي محمود - ربنا يقومه بالسلامة - حسيت بعد الأكل إن دماغي تقيلة أوي زي ما أكون ضارب جوينت مش طبق بامية، فسألت عمي محمود عن حال دماغه قال لي: ربنا يلطف بينا

يا ابني.. بصيت لسمير وجدت في عينيه نظرة ألم ضمير قائد اتخذ قرارا خاطئا في مطبخ العمليات.. كنت عايز أشتمه بس لقيت الكلام بيتوه مني

بجد، فكرت للحظة إني أكتبله الشتيمة دي طالما لساني عاجز عن النطق بعد أن تذوق باميته المصون.. فوجئت بأننا جميعا دخلنا مرحلة تهييس فعلا.. وسمير كل شوية يقول جملة المشكلة في التوم والصلصة.. قالها لا إراديا أكثر من خمس مرات فعلا.. وجدتها فرصة سانحة لكي أشتغله زي ما بهدلني أنا وعمي محمود - كان راجل طيب -

قلت له:

- إيه أكتر حاجة وحشتك في مصر يا سمير؟ فوجئت بضحكة غريبة وإجابة أغرب وهو بيقول: التلوث..

قلت:

- وهو التلوث واحشك ازاي والبامية أُدامك؟ قول بجد يا أبو سمرة.. وجدته ينظر لسقف الصالة شاردا زي ما يكون هيرمي قصيدة شعر على السفرة وقال لي بحزن شديد: أنا كل مصر وحشتني.. بقالي خمس سنين مش عارف أنزل عشان الإقامة وما اقدرش أنزل وأسيب البلد دي؛ لأن مصر حالها ما يسرش عدو ولا حبيب ولا حتى صديق.. أنزل ازاي وأنا عايز أعلم أولادي الأربعة علام كويس؟ عيالي وحشوني أوي بس لو نزلت يبقى كأني بحكم عليهم بالإعدام.. أنا مرتبي ٣٥٠ جنيه، أصرف بيهم ازاي على نفسي مش على العيال؟ حسيت إن كلامه الموجع هيضيع الدماغ الحلوة اللي باميته عملتها..

قلت له: انسى السؤال ده يا سمير.. نطق بأسى واضح: قول لي انت أنسى ازاي؟

ناولته طبق البامية وقلت:

- اشرب يا سمير.. ما حدش واخد منها حاجة.

سيجارة كحلي

فاكرين العبقري فؤاد المهندس في فيلم «خلي بالك من جيرانك» لما كانت الوسيلة الوحيدة للوصول لمنزله هي صالة منزل عادل إمام و«بلبلة» - كنت بقولها كده وانا صغير - أهو جارنا العزيز عبد الحميد يذكرنا دائما بفؤاد المهندس، رغم إن مفيش حد في السكن اسمه مديحة يسرى حبيبته في الفيلم.. لأنه رغم أيضا إنه يسكن في الدور الرابع وإحنا في التالت فإنه ضيف دائم عندنا. اعتقدت في البداية إنه بيغلط في الشقة وبيتكسف يعترف بغلطته إلا بعد الساعة اتنين بالليل، وده راجع لأنه فعلا الشقتين توأم زي حسام وإبراهيم حسن، حتى في صلعتهم، لو اعتبرنا إن الشعر زي الفرش.. اعتقدت هذا فعلا؛ لأنه من كتر قعدة عبد الحميد عندنا كنت ساعات بقترح عليه من باب الدعابة - وشباك النعاس - إنه يطلع شقته من ع المواسير أقرب.. الجميل فعلا إن عبد الحميد عاش الدور وبدأ يسألنا عن حاجات موجودة في شقته اللي مش معترف بيها فوق كأنه ساكن فيها عرفي.. كانت أسئلته على طريقة:

- طلعتوا اللحمة من الفريزر؟

كنت بقول له:

- لا إحنا طلعنا الفريزر كله ليك فوق عشان تطلّع منه اللي انت عايزه إن شالله حتى تطلع عينيه.. وبجد بقى وبعيدا عن هذا الهزار اللي أنا بحبه.. عبد الحميد شخصية جميله حبناها واتعودنا عليها لدرجة الإدمان رغم تفكير البعض في مطالبته بالإيجار؛ لأنه قعد معانا أكتر ما قعد مع أهله في مصر - وبعدين بقى في الهزار ده؟ - اللافت للنظر بجد أن عبد الحميد ليس ثرثارا على الإطلاق؛ فهو ليس هذا الجار أو تحديدا الجارة اللي تروح لجارتها ويقعدوا يجيبوا في سيرة طوب الأرض وفي الآخر واحدة منهم تتنهد بحرارة وبرود في نفس الوقت وتقول للتانية:

- أحلى حاجة يا اختي إننا في حالنا وما بنجيبش سيرة الناس.. نعم عبد

الحميد ليس هذا الجار لأنه ممكن يقعد معاك كتير دون أن ينطق بكلمة أو حرف جر - يمكن مش عارفهم - كما أنه أيضا غير مزعج ولا يكلفك غير كلمة يا مرحب كل نص ساعة واللي ممكن تظبط منبهك عليها حتى يصبح انتظامك في قولها كانتظام عبد الحميد في زيارته لك.. الجميل أيضا في عبده - خلاص بقى صاحب بيت - أنه نادرا ما يدخل علينا وإيده فاضية، ولو حصل بيحطها في جيبه من الإحراج وهذا لأنه شغال في شركة نضافة هنا، عشان كده مرة تلاقيه داخل عليك بمقشة إيطالي هدية وداخل علينا بيها كأي موظف شبه محترم داخل على عياله ببطيخة غالبا بتبقى لون قلبه الأبيض - قلب زملكاوي - مرة تانية تلاقيه داخل عليك بمسحوق غسيل رائع، واللي من حلاوته ممكن تستخسره في هدومك.. مسحوق لا يعترف بشعار مع إريال وبرسيل النضافة مستحيل.. ورغم أن عبده في الخامسة والعشرين من عمره فإنه يصر دائما على أن يسبق اسمي كلمة أستاذ رغم أن فرق السن مش كتير، حوالي ست سبع تمن تسع سنين إلا يومين بالظبط.. وفي ليلة بلاك فاتح استسلم عبده لإلحاح صديقه الجديد المغربي وشرب سيجارة حشيش، ثم صعد لمنزلنا كالعادة - حتى وهو مسطول - يومها كنت بره رجعت لقيته قاعد لوحده في الصالة.. حسيت إنه حد تاني غير عبده اللي أعرفه.. مبدئيا بقول له: ازيك يا عبده؟

رد مكتفيا باسمي دون اللجوء لكلمة أستاذ.. استغربت وضحكت وسألته إني كنت أستاذ من ساعتين إلا ربع بس ولا احنا دلوقتي في الفسحة؟ هنا أطلق عبده ضحكة عالية جدا لا مبرر لها إطلاقا.. زادت شكوكي، ثم عرفت منه أن عبده بيه شرب سيجارة كحلي.. هنا تحول عبده إلى عبده آخر.. تحول إلى عبده اللي عايز ياكل حالا خضار ورز ولحمة ومن عمايل إيدي كأي فلبيني، مدعيا أن الحشيش بيجوّع ورافضا مشاركتي في تجهيز

الأكل على أساس إنه ضيف وما يصحش.. هنا تأكدت إن الحشيش بيخلي عبده كداب كبير.. تحول من عبده الهادئ إلى عبده الثرثار من الدرجة الأولى - تكييف - هنا كان لا بد أن أؤنب ضميره حتى لا يسير في تيار السجاير البني أو على الأقل ينسى موضوع العشا ده؛ لأن الكسل كان أنتيمي في هذا اليوم.. اللي زعلني منه أكتر إنه وهو مسطول قال لي أنا نفسي أفوق.. قلت له وأنا برضه نفسي تفوق وتعرف إنك ساكن فوق.. لم يهدأ عبده بعد أن فشل أن يفيق منها وقام بالاتصال بخبير من البفرة، قصدي الدرجة، الأولى، الذي نصحه بأن يلتهم أي كمية جبنة في التلاجة بس بشرط تبقى استانبولي - حشيش تركي - مؤكدا له أنه كده هيفصل وهيرجع لطبيعته خلال نص ساعة ونفَسين بالظبط.. وهنا خفت على عبده ليكون اتصل بواحد مسطول أساسا وإن كل كلامه غلط وإن عبده هيتسطل أكتر ومش بعيد يبقى عشا وفطار في ساعة واحدة.. اطمأن قلبي بعد أن أكد لي حسن ثقته في الخبير كراجل محشش أد الدنيا.. وبالفعل قام بتنفيذ الروشتة كأي مدمن شاطر.. وبالفعل وبعد نص ساعة بالظبط عاد عبده لطبيعته - خبير خبير يعني - عاد عبده إلى وعيه نادما على تلك السيجارة الكحلي مستمعا مني لمحاضرة طويلة عريضة - ملفوفة - من اللوم والتوبيخ تنتهي بعقابه بأن يقوم هو بتحضير العشا اللي قال عليه وهو مسطول.. ولما رد بخبث قائلا إنه ضيف أكدت عليه أنه ياكل جبنة استانبولي تاني عشان يفوق ويبطل كدب.

الغول والغلول

من أجمل إيجابيات الثورة المصرية أنها فتحت نفسنا كمصريين في الكلام عن السياسة بعد أن كان الشعار السائد: «يا داخل بين الدولة وسياستها ما ينوبك غير عيشها وحلاوتها» - في «أبو زعبل» يعني - لكن الوضع تغير تماما.. الآن تستطيع أن تستمع للنظريات السياسية في كل مكان وزمان.. جرب واركب ميكروباص هتلاقي السياسة بقت أهم من لم الأجرة.. لم تعد السياسة مقصورة على أفراد بعينهم بعد أن أصبح شعبنا العزيز شغوفا بها من الوزير للغفير.. حتى صاحب عربية الفول أصبح شعاره: «إن خلص الفول.. يبقى السبب الفلول».. وبالتأكيد وصلنا إلى هذه المرحلة بعد أن أصبح سجن مزرعة طرة مليئا بالسكان الأصليين واللي يستاهلوها بصراحة.. وعلى الصعيد الشخصي لمست هذا التغيير الكبير بعد زيارتي الثانية لإيطاليا؛ حيث وجدت نفسي في سكن جديد عبارة عن ثكنة سياسية بمعنى الكلمة.. ثكنة أصبح فيها السؤال عن أحوال مصر أهم من السؤال عن سعر اليورو النهارده - وده شيء مش سهل - أجد نفسي يوميا في برنامج سياسي أشبه ببرنامج «الاتجاه المعاكس» لـ«فيصل القاسم» لما يحتويه من مشادات كلامية سياسية تصل أحيانا لتكسير كوبايات الشاي - حاليا بنشرب من الكنكة - رغم محاولاتي لتهدئة الأجواء السياسية مرددا جملة «فيصل» الشهيرة لكل طرف قائلا له: سأعطيك المجال.. سأعطيك المجال. ورغم حزني على طقم الكوبايات بتاع كل يوم إلا إني ببقى مبسوط من إننا بقينا مهمومين ببلدنا أكتر من حاجات كانت واخدانا منها، والمهم كمان إننا في نهاية كل يوم بنرجع حبايب زي الأول وأكتر وبنفكر كمان في نوع الكوبايات اللي هنكسرها بكرة.. تخيلوا بقى إنه في الفترة الأخيرة لم يتم تكسير أي كوباية في السكن لدرجة إني انزعجت وقلت لهم: يا جماعة لو كنتوا زهقتوا من الكوبايات إحنا ممكن نمشيها أطباق لو عايزين.. قلت هذا الكلام رغم معرفتي بالسر في ذلك، وهو أن الكل متفق على رأي

واحد في الحدث السياسي الأخير وهو موضوع الفتنة الطائفية.. نسيت أقول لكم إنه ساكن معايا اتنين من الإخوة المصريين المسيحيين.. اتنين مصريين صعايدة جدعان بجد.. يوم حرق كنيسة شارع الوحدة لمست في عيونهما حزنا عميقا لما يحدث.. كلنا كنا زعلانين بجد من اللي حصل.. يومها سألني «جميل» صديقي:

- ليه ده بيحصل؟

أكدت له أولا استنكاري لهذا الحدث المشين وأنني لا أميل لنظرية المؤامرات لأننا لو مشينا وراها مش هنخلص، لكن للأسف الشديد واضح جدا إنها مؤامرة لضرب نجاح الثورة في مقتل؛ لأن هناك أعداء كثيرين يهمهم في المقام الأول إجهاض أي نجاح بسيط في مصر، فما بالك بثورة أطاحت بنظام كان ملتصقا بالكرسي والفساد أكثر من التصاق حجارة الأهرامات ببعض.. وأكدت له أهمية القضاء على الفتن الطائفية فتنة فتنة - زنجة زنجة - لأنها أكبر خطر على الثورة.. قلت هذا الكلام لـ«جميل»، لكن بجد كنت بيني وبين نفسي متألما لأننا في الأول وفي الآخر مصريون، فلماذا نقع في هذا الفخ؟ بعدها فاتحت «جميل» في أنني سأكتب موضوعا على «فيس بوك» عن الفتنة الطائفية وإني هصوره وهو ماسك لافتة مرسوم عليها الهلال والصليب معا ومكتوب تحتها: جميل جمال ماليش مثال.. يومها رد على كلامي بجدية بأنه موافق بشرط إني أكتب يحيا الهلال مع الصليب.. أقسم لي جميل إنه في بلدهم في الصعيد الكنيسة والجامع حيطة واحدة لا يفصلهما شيء وأنه لم يلمس أي تمييز طائفي في بلدهم.. صدقته لأني عايش معاه منذ شهر وأعتبره مصري مثلي تماما.. يحب مصر كما أحبها أو أكثر.. أقسم بالله إني ساعات بنسى إنه مسيحي من فرط مصريته لدرجة إني مرة كلمته على إن رمضان السنة دي جاي في شهر أغسطس وسألته عن كيفية مقاومته للعطش.. لم أنتبه

إلا عندما نظر لي ضاحكا.. فتكرت فقلت له:
- سوري نسيت إنك بتتسحر بعد العصر.

قاضٍ في قفص الاتهام

وطي صوت التليفزيون.. مين اللي عليه غسيل المواعين النهارده؟ فين الولاعة اللي كانت هنا؟ اقفل النور.. لا ما تقفلوش ما بعرفش أنام في الضلمة - خلاص اقسموا اللمبة نصين - الأستاذ اللي حاطط هدومه في الغسالة من يومين هو جايبها معاه من مصر ولا إيه؟ هذه الجمل ويوجد غيرها كثير من الثوابت اللي لازم تسمعها يوميا وانت عايش في سكن في غربة.. وأنا عن نفسي حفظتها وحفظت مواقيتها اليومية كمان، لدرجة إنه لو حد نسي يقول جملة منهم أنا بفكره عشان نحافظ على النظام العام في ترديد الكلام.. الجميل بقى هو كوكتيل المشاعر اللي بلاقيه منتشر في السكن، يعني اللي قاعد لوحده في ركن وبيسمع أغنية: «دار يا دار يا دار.. اللي بيحصل لي ده جد ولا هزار؟».. ساعتها بقوله: «أيوه كده يا وديع».. وعندما ينظر لي في صمت غير وديع أفهمه إني أقصد وديع الصافي مش وديع «ميلودي» البايظ.. وآخر يجلس مزاجه عنب وبيستمع لأحدث قصايد شعبولا وهو يتنهد بعمق كمن يستمع للأطلال.. وآخر ماسك ورقة وقلم وآله حاسبة وبيحسب ساعات العمل، والأهم منها كمية القبض، رافعا يده وداعيا لليورو: «اللهم زود عدد الساعات وثبت أقدام اليورو بين العملات»، وآخر جالس مهموم لأن الشركة اللي كان فيها أفلست بسبب الأزمة المالية ومضى على استقالة منتظرا البحث عن عمل وباب رزق جديد، مرددا أغنية العندليب: «يا شغلة كانت مالية عينيَّ واستكترتها الشركة عليَّ».. الطريف إنه مفيش حاجة ثابتة هنا، يعني اللي بيسمع شعبان النهارده بكرة ممكن تلاقيه بيعيط ورا مصطفى كامل.. واللي ماسك الآلة الحاسبة بكرة ممكن تلاقيه بيدور على حد يشتريها عشان يكمل ويدفع الإيجار.. وهكذا.. ويا سلام بقى لما تحصل مشكلة بين اتنين في السكن أصغر مني سنا ويكلفوني بالتدخل والحكم بينهما لمعرفة الظالم من المظلوم.. ساعتها بنبدأ في إجراءات قعدة العرب الإيطالي

بتحذير حاد اللهجة مني بإننا جايين ناكل عيش مش ناكل في بعض.. إلى جانب تحذير آخر بأن اللي هيقاطع التاني في الكلام هيدفع غرامة خمسة يورو في ميزانية الأكل - للأسف بيطلعوا محترمين - ويبدأ الطرف الأول بالكلام: أنا النهارده غسلت المواعين ونضفت البيت ونشرت السجاد في البلكونة - ست بيت محترمة - وجيت أطبخ ما لقيتش بصل، رحت اليورو سبين لقيته قافل.. رجعت لقيت البيه بيزعق لي لأنه جه من الشغل ما لقاش أكل. أنظر للطرف الآخر وأوضح له إن كلام الطرف الأول وما فعله في الشقة ينم عن وجود راجل فلبيني معانا في البيت وإنه عمل اللي عليه وزيادة، وأبدأ في الاستماع إلى شكواه المريرة قائلا: يا عم الحاج... أقاطعه بأني دلوقتي قاضي البصل مش حاج، ومفيش داعي للألقاب وخُش في الموضوع.. يعاود الحديث:

- أنا عارف إنه عمل ده كله، بس كل واحد بيعمل ده كله في يومه، وهو عليه النهارده يبقى مش ذنبي إني أرجع من الشغل ما الاقيش أكلي جاهز.. وهو نسي يقولك إن اللي عطله عن اليورو سبين إنه غسل هدومه اللي هي أهم من أكلنا.. هنا يرتفع صوت الطرف التاني على الطرف الأول ويبقى حاسس إنه خلاص هيرمي عليه اليمين.. أشير له دون جدوى بالهدوء، مذكرا إياه أننا في ميلانو مش في الزاوية الحمرا.. وأنظر للطرف الأول الملتزم بالصمت تماما وهو يستمع لصوت الطرف التاني العالي جدا - ليس أدبا، بل خوفا على الخمسة يورو غرامة المقاطعة - ويبدأ في الدفاع عن نفسه بأنه المفروض يبقى البصل موجود في الشقة؛ لأن فيه واحد عليه يجيب طلبات الأكل من اليورو سبين.. هنا أطالب الطرفين بإحضار الأجندة المكتوب فيها التكليفات لأفاجأ بأن اللي كان مفروض يجيب طلبات الأسبوع ده وناسي هو العبد لله لينقلب حالي من كرسي القاضي إلى بصل، قصدي قفص، الاتهام.. ناظرا للطرفين في ود مفتعل بادئا

مرافعتي بجملة:

- جل من لا يسهو.. وإن الإنسان سُمي بذلك لنسيانه.. ومش شوية بصل اللي هيزعلونا من بعض يا رجالة - لو فاكهة ماشي - يقاطعني الطرف الأول بأن كلامي معناه إنه مش غلطان ليطالبني الطرف التاني بتوقيع غرامة الخمسة يورو عليه لأنه قاطعني، أرد عليه بكل هدوء بأن المسامح كريم.. وإن اليورو سبين هيفتح بعد ساعة وهجيب البصل اللي هناك كله وهخلي الطلاينة ييجوا يشتروا مننا.. وهنا تنتهي قضية البصل التي تعتبر نموذجا من نماذج كثيرة تحدث في أي سكن في الغربة.. الطريف أنه وسط هذه الأجواء البصلية المشحونة بتحدث ألفة تدريجيا بين الموجودين في السكن مع مرور الوقت لنبدأ في الإحساس بأننا أسرة واحدة مهما اختلفنا مع بعض.. لمست هذا الإحساس بقوة عندما فوجئنا بقرار سفر أحد سكان المنزل إلى مصر نظرا لظروف طارئة.. ساعتها لمحت نظرة افتقاد بداخل عيوننا جميعا، مؤكدين عليه أنه لما يرجع من مصر يرجع على السكن ده لأننا هننتظره.. ساعتها بجد رأينا دموعه المزدوجة المعنى؛ فهي دموع فرح لأنه نازل هيشوف أهله ودموع حزن لأنه سيفتقدنا أيضا، رغم إننا مطلعين عين أهله معانا.. ونخرجه من هذا الجو المشحون مغنين له أغنية شادية واللي ما حفظتهاش غير هنا:

يا حبيبتي يا مصر يا مصر.

فصل تالتة تالت

٣/٣

فسحة سياسية

نزلتي التحرير يا أمينة؟

بعد ما حدث وبعد أن تم سحل واحدة من أشرف وأنقى واطهر بنات مصر في ميدان التحرير كان لا بد أن ينفض الجميع ما تبقى بداخلهم من خوف ليتحول إلى إصرار على الصمود لاسترداد كل الحقوق الضائعة، ومن بينها حق تلك الفتاة التي كان ذنبها الوحيد أنها أحبت مصر بصدق.. نعم خرجت نساء مصر في جمعة رد الشرف تضامنا مع الفتاة الشريفة ومع الحق أيضا.. ولأن أمينة أيضا من نساء مصر المحروسة قررتْ أن تنزل التحرير رغم معرفتها بطبع سي السيد.. لم تتردد أمينة لحظة غير عابئة بعواقب قرارها الخطير.. نزلت أمينة التحرير تضامنت وهتفت ضد كل من سولت له نفسه أن يمس شعرة من رأس أشرف بنات مصر.. ثم عادت إلى منزلها وكان لها هذا الحوار مع سي السيد الذي شعر عن طريق الحاسة التاسعة أن أمينة عملتها وخرجت دون علمه ورجلها مكسورة كمان.. المشهد هنا في غرفة أمينة التي ترقد على السرير وهي تنظر لسي السيد الذي ينظر لها بتركيز أُوفر شوية بصراحة.

أمينة: حمد الله على سلامتك يا سي السيد.. ربنا ما يرقد لك جتة ويفضل نظرك ستة على ستة

سي السيد: إيه اللي رقدك يا أمينة؟

أمينة - بارتباك -: أصل الحكاية يا سي السيد.. رجلي متعورة..

سي السيد: هاتي من الآخر يا أمينة.

أمينة: السوارس صدمتني.. الحسين دعاني قمت لبيته.. وأنا راجعة المقدر حصل.

سي السيد: يعني خرجتي؟ بتستغفليني وتخرجي من غير أمري؟

أمينة: أبدا والله يا سي السيد.. دي أول مرة.. وحياة الحسين ما تزعل مني ولا تشيل في نفسك ولا حتى في جيوبك.. هات اللي معاك أشيلهم أنا في بنك محفظتي.

سي السيد: لو مش عايزاني أزعل بجد قولي الحقيقة يا أمينة.. وسيبك من حكاية السوارس اللي ما حدش عارف معناها لحد دلوقتي وقولي كنتي فين.

أمينة - بحسم -: كنت في التحرير يا سي السيد.

سي السيد - بذهول -: نزلتي التحرير يا أمينة؟

أمينة: أيوه يا سي السيد.. ومالك زعلان كده زي ما يكون لا سمح الله نزلت العباسية؟

سي السيد: انتي مش عارفة اللي بيحصل في التحرير يا أمينة؟ ما سمعتيش ع البت اللي اتسحلت عيني عينك؟

أمينة: ما انا عشانها نزلت يا سي السيد.. وقلت لأ وألف لأ.

سي السيد: والله عال.. وقلتي إيه كمان يا أمينة؟

أمينة: قلت إن ذنبها إيه المسكينة يحصل لها كده وفي بلدها كمان.. واللي عمل كده ليه ما اتخيلش ولو لحظة إنها أخته، هيرضى ساعتها إن حد يعمل فيها كده؟ قلت إن مش دي مصر اللي بنتمناها يا سي السيد.. هي الثورة اتعملت عشان نرتاح ولا نتبهدل يا سي السيد.. ما ترد عليَّ يا اخويا.. انت ترضى عليَّ إني أتسحل كده في التحرير؟

سي السيد - بغضب -: عليَّ النعمة ما أخلى فيها مشير ولا غفير يا أمينة.

أمينة: خلاص يبقى اللي ما تقبلوش عليَّ ما تقبلوش على أي بنت شريفة في مصر.

سي السيد - بدهشة -: انتي جبتي الكلام الكبير ده منين يا أمينة؟

أمينة - بثقة -: ربنا يخلي الفيس بوك، مش مخليني عايزة حاجة.. ربنا يعلي مراتبه ويكتر لايكاته.

سي السيد - بغضب -: انتي كمان ليكي حساب ع الفيس بوك من ورايا يا أمينة؟

أمينة: وحياتك عندي بعت لك إضافة خمسين مرة وانت اللي بتعمل إجنور وفاكرها كونفيرم.. يعني مش ذنبي إنك حمار يا سي السيد.
سي السيد: بتقولي إيه؟
أمينة: آسفة.. قصدي إنك ما بتفهمش يا اخويا.
سي السيد: لا يا أمينة ما ينفعش تبقي عندي ع الأكاونت بتاعي.
أمينة: خايف طبعا لاشوف نادية لطفي عندك.. مش كده؟
سي السيد: انتي عرفتي؟ مين اللي قال لك؟
أمينة: الواد عبد المنعم إبراهيم ابنك.
سي السيد - بحدة -: يا ولية اسمه كمال.. انتي نسيتي إننا بنمثل؟
أمينة: دلوقتي بنمثل؟ ماشي معاك ومتفقة جدا وقشطة كمان.. لكن لما نزلت التحرير ما كنتش بمثل يا سي السيد.. كنت بقول كلمة الحق، وهفضل أقولها لحد ما اموت وبعد الشر عليَّ وإن شالله انت يا سي السيد.
سي السيد: أصيلة يا أمينة.. تعرفي إنه عندك حق.. الثورة دي اتعملت عشان يبقى لنا كرامة مش ننداس ونتبهدل ونتخرس.. ولعلمك بقى أنا نازل التحرير يا أمينة.
أمينة: تسلم يا سبعي.. وسبع الرجال.
سي السيد - يشير لقدمها المكسورة -: لكن ما قلتيش إيه اللي كسر رجلك دي يا أمينة؟
أمينة - بألم -: بعيد عنك يا اخويا واحدة من حركة كفاية.. ما تعرفش يعني إيه كلمة ريجيم قالت لي شيليني عايزة أهتف.. شيلتها حسيت إني اتشليت.. المصيبة إني كل ما أقول لها كفاية تفتكر إني بشجعها.. إوعى يا اخويا تشيل حد من بتوع كفاية دول.
سي السيد: لا لا لا لا كفاية مين ؟
لو حكمت يعني هشيل واحد سلفي وزن الريشة.

الفراعين في نعيم

لست أدري ما الذي جعلني أتخيل هذا المشهد، وهو فوز البرادعي بحكم مصر، ورد فعل توفيق عكاشة على هذا الحدث بعد حملات الطيور التي قادها ضده متسلحا بالبط والوز ومتمسكا بشعار التزغيط والرئيس القادم وجهان لعملة - أو بطة - واحدة.. ويبدو والله أعلم أنني تخيلت هذا لأنني أقحمت نفسي في هذا الحوار وكلي عشم أن أخرج منه بمعلومة أو على أقل تقدير بعشوة.. وعلى هذا الأساس كان لي هذا الحوار مع الدكتور - عدم توفيق عكاشة - أهلا بحضرتك يا دكتور..

توفيق: أهلا بيك وبالإخوة المشاهدين والمشاهدات الأحياء منهم والأموات.

ص: بصراحتك المعهودة قول لنا يا دكتور انت إحساسك إيه دلوقتي؟

توفيق: وأنا مش هكدب عليك.. أنا رحت للدكتور إمبارح، كنت حاسس كده بمغص في ركبي وشوية صداع في الشعب الهوائية فوجئت بأن الدكتور حمار ومش عارف حاجة.. قمت كاشف على نفسي عنده وكشفت عليه بالمرة والحمد لله في تحسن ملموس غير محسوس و...

ص: يا عم الحاج، قصدي يا دكتور، أنا مش جاي أعيد كشف عليك واللي في إيدي ده حضرتك مايك مش سماعة.

توفيق: يا راجل.. طب وريني كده.

ص: أهو اتفضل حتى شوف بنفسك مايك ياباني أصلي مصنوع في الصين الشعبية.

توفيق: تصدق كل حاجة بقت صيني، بس لعلمك ناس محترمين جدا وفي منتهى الأدب، أنا مرة مذيعة صينية عملت معايا حوار قعدت أتكلم أنا حوالي ساعة ونص وهي ما قالتش غير كلمة واحدة بس.. تخيل كده قالت إيه؟

ص: stiubed.

توفيق: بالظبط كده.. إيه ده؟ انت شفت البرنامج؟
ص: طبعا يا أفندم، حتى بالأمارة خلصت حوارها مع حضرتك وراحت تعتصم في ميدان التحرير.
توفيق: ولا اعتصام ولا نيلة انت بتصدق؟ ده أنا كنت مديها معاد في أبو طارق ونفضت.
ص: طب بعد إذنك يا دكتور خلينا نرجع لموضوعنا بعيدا عن الكشري وتذكَّر أن للحوار كمالة.
توفيق: ما انت اللي عمال تلف وتدور وراوشني بالمايك بتاعك ده.. ما تخش في الموضوع.
ص - بحسم -: إحساسك إيه بعد فوز الدكتور محمد البرادعي بحكم مصر؟
توفيق: مش تخبط يا ابني قبل ما تخش؟
ص: نعم؟
توفيق: قصدي أقول لك إني فرحان وطاير، ولا بلاش طاير دي ولا سيرة أي طيور.. أنا مبسوط طبعا، ولعلمك أنا من بكرة واحتفالا بفوز الدكتور البرادعي بحكم مصر هغير اسم البرنامج بتاعي من «مصر اليوم» إلى «مصر اليوم في عيد».
ص: مصر اليوم في عيد؟ دي أغنية لشادية.. انت استأذنت منها؟
توفيق: لأ، استأذنت من الملحن.
ص: بس الملحن ده مات.
توفيق - رافعا يده -: الفاتحة على روحه.
ص: بس يا دكتور الناس كده هتتهمك بالنفاق لأنك قبل فوز البرادعي بحكم مصر كنت بتهاجمه كل يوم ٣ مرات بعد الأكل.
توفيق: انت جاي تتبلى عليَّ؟ إمتى حصل ده؟

ص: يا أفندم بأمارة البط والوز لما قعدت تكاكي في البرنامج ضد البرادعي حتى بالأمارة كمان يومها مصر كلها اتهمتك بالجهل والتخلف وانعدام الشخصية.

توفيق - بحدة -: بس ما تقولش شخصية.

ص: أنا آسف أنا مش قصدي أجرحك، أنا كل غرضي أهزأ كرامتك مش أكتر.

توفيق: آه بحسب.. بص بقى عشان نقفل على موضوع البط والوز والحظيرة اللي فتحتها على نفسي أعترف فعلا بأني قلت الكلام ده.

ص: أيوه كده يا دكتور خليك راجل.. قصدي خليك أد كلمتك.. قصدي.. كمل كمل.

توفيق: أنا قلت ده واكتشفت بعدها إني ظلمت الدكتور والمربي الفاضل محمد البرادعي لأني عرفت من مصادر سرية أن البرادعي أحسن مربي للطيور في مصر.. وخد عندك بقى السر ده.

ص: عيش يا معلم.. قصدي اتفضل يا دكتور.

توفيق - بحماس -: الدكتور البرادعي مربي عنده بط في البيت في قمة الأدب واحترام.. تخيل البطة من أدبها بتستأذن قبل ما تعمل حمام.. والفرخة عنده من براءتها ونضافتها استحالة تبيض ع الأرض.. لازم يبقى تحتها كرتونة.

ص: وافرض مفيش كرتونة؟

توفيق: بتصبر وتاني يوم تنزلها مسلوقة.

ص: على كده بقى المعزة عنده لما بتعطش بتقول مااااء؟

توفيق: طبعا.. معيز محترمة مش أي كلام.. يعني الراجل أثبت لي ولمصر قدرته على تربية وتهذيب الطيور.

ص: طب يا دكتور، بماذا تفسر انضمامك لجبهة العباسية؟

توفيق: لعلمك واللي انت ما تعرفوش إني كنت رايح التحرير بس العربية عطلت مني في العباسية وده طبعا مش ذنبي.
ص: أكيد طبعا ده ذنب الميكانيكي.
توفيق: وهو أنا سبته إلا لما عرفته قيمته؟
ص: وطبعا لو سألتك عن بوستك الشهيرة لإيد صفوت الشريف هتقول إنه هو اللي ضربك بإيده على شفايفك؟
توفيق: طب ما انت عارف أهو.. أمال بتسأل ليه؟
ص: خيبة بعيد عنك.
توفيق: هو الحوار كده خلص؟
ص: لأ لسه ربع كيلو - ناظرا للشاشة - أعزائي المشاهدين كان معي ومعكم توفيق عكاشة صاحب قناة «الفراعين في نعيم».

فكر ثواني واكسب ثواب

أهلا بكم أعزائي المشاهدين في برنامج فكر ثواني واكسب ثواب.. حوارنا النهارده مع حائط الصد الأول أمام كل ثائر يعبر عن رأيه في قول كلمة لأ.. معنا اليوم عسكري من قوات الأمن المركزي.. أجرينا معه هذا الحوار لنتعرف على دوافعه وأهدافه وطموحاته وبالمرة ثقافته.. أهلا بيك ويا ريت تعرفنا بنفسك..

المجند: طلعت إبراهيم زكي عبد الفتاح مصطفى علي حسن عبد العاطي عبـ...

ص: والنبي ما انت مكمل.. أنا بقول اسمك مش تاريخ شجرة العيلة من أيام ما كانت غصن.. قول لي يا إبراهيم.

طلعت - مقاطعا -: لا إبراهيم مين؟ أنا اسمي طلعت إبراهيم زكي عبد الفتاح مصطفى علي حسن عبـ...

ص: انت ليه يا طلعت متخيل إني عامل معاك حوار عشان أعرف اسمك مش أكتر؟

طلعت: مش انت اللي بتغلط؟

ص: أنا آسف.. عيل وغلط.. ولعلمك أنا كنت ناوي أسألك على عنوانك لكن انسى.. قول لي يا طلعت.

طلعت: هو حضرتك برضه اسمك طلعت على اسمي؟

ص: أيوه لكن باختلاف بسيط.. انت اسمك طلعت زكي لكن أنا طلعت غبي.

طلعت: أهلا بيك.

ص: ده بس من ذوقك ونباهتك.. أبوس إيدك عايز أدخل ع السؤال الأول.

طلعت: اتفضل حضرتك ادخل.

ص: يا رب يا ساتر.. إحساسك إيه يا طلعت وانت بتواجه إخوانك المصريين الثوار بكل هذه القسوة؟

طلعت: أكيد طبعا ببقى زعلان ع الآخر.
ص - بسعادة -: الله يفتح عليك.. قول لي بقى زعلان ليه؟ قول واشجيني عشان يعرفوا إن المجندين رجالة وبيقولوا كلمة الحق تحت أي ظرف زمان أو مكان.. أو حتى ظرف جواب.
طلعت: ببقى زعلان لأني بدل ما كنت بنزل أجازة كل شهرين بقيت بنزل كل أربع شهور وبالعافية.
ص - بإحباط -: يا ريتك فضلت سايلنت يا طلعت.
طلعت: إيه سلانت دي كمان؟
ص: سلانت؟ ده نوع عصير اشربه ٣ مرات في اليوم هتبقى زي الفل.
طلعت: قبل الأكل ولا بعد الأكل؟
ص: ده بالذات تشربه وانت بتاكل.. لأن مدة صلاحيته ٣ دقايق.. وأبوس إيدك كلاكيت تاني مرة ركز معايا شوية.
طلعت: اتفضل اسأل حضرتك.
ص: يا طلعت، اللي انت بتواجههم بالقسوة دي اخواتك مصريين زيك وبيعبروا عن حقهم في إنهم يقولوا كلمة لأ لأي ظلم يحسوا بيه.
طلعت: لا مؤاخذة بقى اللي أعرفه إنه فيه حاجة اسمها صندوق شكاوى.. واللي عنده مشكلة يكتبها ويحطها في الصندوق.
ص: صدقني يا طلعت، الصندوق ده اتملى على آخره دموع مش شكاوى وبس، وبرضه مفيش فايدة.. الناس دي نزلت الميدان عشاني وعشانك وعشان مصر يا طلعت.
طلعت: لا مؤاخذة يعني.. أهو كلامك ده نفس الكلام اللي قاله الأستاذ يوسف شعبان للأخ الزميل رأفت الهجان.. لكن اللي لازم تتأكد منه إني بحب مصر قوي.
ص: وصدقني مصر بتناديك يا رأفت، قصدي يا طلعت.. هي كمان بتحبك

جدا.. واحنا كمان بنحبك ونحترمك.. والثوار برضه بيحبوك صدقني.
طلعت: ولما الثوار بيحبونا بيزقّلونا بالطوب ليه؟
ص: ده مش طوب.. دي فوارغ الخرطوش اللي بينضربوا بيها.
طلعت - بحسم -: ممكن أعرف إيه المطلوب مني دلوقتي؟
ص: ألفين جنيه سلف لآخر الشهر اللي فات.
طلعت: نعم؟
ص: بهزر معاك يا دفعة.. قول لي إيه جورنانك المفضل واللي بتحب تقراه يا طلعت؟
طلعت: بصراحة ما اقدرش أحدد لك اسم جورنان معين.
ص: أفهم من كده إنك معتبره سر بينك وبين نفسك.
طلعت: لأ، حضرتك تفهم من كده إني ما بعرفش أقرا أساسا.
ص: يا خبر.. يعني انت لا بتعرف تقرا ولا تكتب؟
طلعت: لأ، بعرف أكتب اسمي واسم أبويا بس.
ص: طب واسم جدك؟
طلعت: لو شفته من بعيد أعرفه، لكن لسه ما أعرفش أكتبه.
ص: طب قول لي، نفسك بلدك مصر تبقى عاملة ازاي؟
طلعت - بحماس -: نفسي بجد شيكارة الكيماوي ترخص تاني.. تخيل الشيكارة بقت بـ١٥٠ جنيه ومش لاقيينها.. ومش ملاحقين تسبيخ في الأرض.
ص: أفهم من كده إنك مؤيد لحملة العبارة في الشيكارة؟
طلعت: طبعا.
ص: طب اركن الشيكارة على جنب وقول لي انت شفت فيلم البريء لأحمد زكي؟
طلعت: لأ شفت له فيلم استاكوزا.

ص: وطبعا لو سألتك إيه اللي عجبك في الفيلم هتقول لي خبرة دينا الفنية؟

طلعت: هو فيلم البريء ده بيحكي عن إيه؟

ص: بيحكي عن حد جميل زيك كده بالظبط يا طلعت.. حد كان كل اللي محتاجه إنه يفكر ثواني مش أكتر.. إنه يفهم إن دول اخواته برضه ومصريين وبيموتوا في ترابها وعلى أرضها.

طلعت: وده بييجي على أنهي قناة عشان أشوفه.

ص: اركن انت بس قناة ميلودي هيتس على جنب وانت تلاقيه على طول.

طلعت: قدم المشيئة يا سعادة البيه.

ص: عليَّ النعمة محترم يا طلعت.. قول لي بقى تحب تسمع إيه في نهاية برنامج فكر ثواني واكسب ثواب.

طلعت: يا ريت أسمع أغنية عايزينها تبقى خضرا.

ص: الأرض ولا الإشارة؟

مواصفات رئيس مصر القادم

اختيار الرئيس القادم لمصر ليس موضوعا سهلا على الإطلاق.. فكما يقول المثل الدارج: اللي اتلسع من الشوربة ينفخ في الزبادي.. هنا تحديدا نجد أنفسنا كشعب اتلسع من الزبادي نفسه.. لهذا يجب أن نتوخى الحذر ونحن نختاره.. مواصفات الرئيس القادم ليست صعبة على الإطلاق، فنحن لا نريده أدهم صبري حتى لا نظل ندعو دائما بأن ربنا ينصره على سونيا جراهام.. نريد رئيسا يتراوح سنه ما بين ٤٠ و٦٠ سنة.. لأننا كشعب لمض لو وجدنا رئيسنا أقل من ٤٠ هنقعد نقول معلش بكرة يكبر ويعقل ويفهم ويفهمنا معاه.. ولا قدر الله لو كان فوق الستين هنسامحه في كل أخطائه على أساس إن احترام الكبير واجب طبيعي واحترام المسن واجب منزلي.. نريد رئيسا يجمع ما بين هيبة عبد الناصر ودهاء السادات وأن يكون متعظا مما حدث مع مبارك.. نريد رئيسا يعلم جيدا قيمة توافر رغيف العيش، ويا سلام لو كان عنده خبرة الوقوف ولو مرة في طابور منهم.. لا نريد رئيسا تربى على الكايزر وترعرع على الفينو.. سوري هنقول مش عايزينه.. نريد رئيسا يمتلك موهبة وفن التفاوض مع رؤساء الدول الأخرى.. لا نريده رئيسا لمجلس إدارة الشحاتة الدولية.. نريد أن يعلم أننا كشعب لا نكون سعداء عندما نسمع عن منحة من هنا أو قرض من هناك أو إكرامية من هنا وهناك.. لا نريد أن نكون شعب عايش ع الدخان اللي بياخده من الدول الأخرى.. نريده مؤمنا بأن مصر لديها الموارد الكافية لاستبدال حظر التجول بحظر التسول.. وفي نفس الوقت لا نريده متشائما، كل ما نقول له عايزين يقعد يلطم.. نريد رئيسا يتقي الله فينا لأننا، والمصحف، غلابة وبنرضى بأقل القليل بس بشرط نلاقيه.. ما ينفعش نقعد نكافح طول اليوم عشان نروح لعيالنا واحنا مش معانا ربع احتياجاتهم.. نريد رئيسا يعرف جيدا ما معنى أن يطلب منك ابنك نص كيلو لحمة وقلة حيلتك تجعلك تؤكد لابنك أن اللحمة

ضارة بالرئتين ومفيش أجمل من الفول.. نريد رئيسا يقول لنا كشعب كما قال أحمد حلمي: تيجوا معايا نغير الواقع؟ ساعتها هيلاقينا كلنا في ديله - ولا بلاش ديله ليزعل - بجد نريده واقعي يعلمنا إننا نعمل وبعدين نتكلم، وليس العكس.. لا نريد رئيسا ثرثارا يفضل يتكلم ويحلم وينام ويصحى يعيد نفس الكلام ويحلم برضه ويظل هكذا حتى تنتهي فترته الرئاسية، وفي الآخر يقول لنا: سوري يا جماعة إحنا الكلام أخدنا.. نريد رئيسا مؤمنا بأنه لا يوجد مغترب إلا وتمنى أن يعيش وسط أهله وبلده وناسه وأنه متغرب غصب عنه وعن أهله وأهل جيرانه كمان.. نريده مؤمنا بأن البعد عن مصر أسبوعا واحدا يكفي تماما لتعلم مدى حبك لها وارتباطك بكل حبة رمل فيها.. فما بالك بناس مغتربة بقالها سنين؟ نريد رئيسا عنده القدرة الكافية على أن يخلصنا من تفاهة الصحف الحكومية ونستحلفه بالله أن يخلصنا من جمل بعينها أمثال دعم العلاقات الثنائية بين البلدين.. لأن مبارك كان كل ما يروح حتة تلاقيهم طالعين علينا بالجملة دي.. كان عندي إحساس إنه لو راح الحمّام هيقولوا ذهب لدعم العلاقات الثنائية بينه وبين البانيو.. ويا ريت بلاش الصور التعبيرية؛ لأنها لما اتعملت واتهرشت أصبحنا مثار سخرية العالم بأسره المتقدم منهم والواطي.. نريد رئيسا عارف قيمة الفيس بوك كوسيلة لمعرفة نبض وهموم الشعب.. نريده مثلنا تماما، بمعنى إنه يكون عمل طلب إضافة لحد عجبه فكره وكلامه وعمل ريموف كنترول لحد فاهم إن الفيس بوك مصطبة لو جاله مغص تلاقيه كاتب استيت: المغص ده هيجنني.. ولو جاله برد يقعد يكح ع الفريندس الغلابة.. نريد رئيسا يرحمنا من نغمة أن الزيادة السكانية هي سبب البلاوي الاقتصادية التي نعيشها لدرجة أن الحكومة السابقة كانت عايزة تلغي يوم الخميس حفاظا على استقرار مصر - طب واستقرار المواطنين يا ظلمة؟ - بجد نريده مؤمنا بأن السكان

ثروة بشرط حسن توظيفهم واستغلالهم لمصلحة البلد وليس لمصلحة الضرايب.. نريده يمتلك فكرا اقتصاديا حتى نكون فخورين ونحن نقول بملء الفم: «ميد إن إيجيبت».. بدل ما احنا ليل نهار بنقول: المكتوب ع الجبين هو صُنع في الصين.. نريد رئيسا يجيد التعامل مع أعضاء مجلس شعبه وشورته - المهببة - ويفهمهم إنه مش جاي عشان يقعدوا يصقفوا ع الفاضي وع المليان وع الواسع استنادا لفن الموالسة الشهير.. ولو حصل وصقفوا بدون داعي يقول لهم: كده أُوفر.. واللي يكررها يقوله له: جيم أوفر.. نريد رئيسا لديه القدرة على احتوائنا كشعب بقاله قرون مهان يطلع من احتلال عثماني على احتلال إنجليزي على احتلال مصري للأسف.. نريده لديه القدرة والجرأة على الاعتراف بالخطأ استنادا لإيمانه بأن الاعتراف بالخطأ فضيلة وليس فضيحة.. نريد رئيسا جرَّب ولو مرة وقعد في مدرجات الدرجة التالتة وسمع أحلى كلام من جمهوره.. نريده محبا للرياضة بعيدا على ألا يكون تحقيق أي إنجاز رياضي قد تم بناء على توجيهاته - ويبقى خدمنا كزملكاوية لو بعت الأهلي إعارة سنة للسعودية - عشان ندوق طعم الدرع.. نريد رئيسا مصريا خالصا.. مصريا بمعنى الكلمة وليس فقط ع البطاقة.. وأخيرا وليس آخرا نريد رئيسا مصريا مننا.. عاش على أغاني العندليب وسهر على أطلال أم كلثوم.. رئيسا أحب ألحان عبد الوهاب وكره شعر صدر تامر حسني.

الأخ الشكيك

لم يكن صباح هذا اليوم عاديا بالمرة.. تخيل شعورك أن تستيقظ من النوم وتخرج من بيتك وتمشي في الشارع وتقول للناس جيرانك: «بونجورنو» للرجالة و«تشاو» للمزز الإيطاليات، بنات منهم أو ستات، و«العواف» لمصري جمعتك به معرفة أو لم تجمع.. ووسط كل هذه الأحداث تشعر بأنك فعلا لسه نايم أو إنك ماشي وعامل فيها صاحي وإن كل اللي بتشوفه وبتقوله وبتسمعه هو مجرد حلم هتصحى منه أول ما المنبه يضرب - بعدها انت تصحى تضربه - اللافت للنظر وللعطف أيضا أن حالتي هنا لم تنبع من فراغ بل نبعت وترعرعت وربنا يديها طولة العمر على إيد عمي عزت الذي يسكن معي في نفس الشقة، بل وفي نفس الغرفة أيضا، وهنا تكمن المشكلة يا سادة - أصدقائي السكر زيادة - لأن عمي عزت من القلائل مصريا وعالميا الذين لديهم القدرة على العزف الأنفي السيمفوني، وليس هذا فقط، بل والاستمتاع بالنوم وسط المستيقظين الغلابة، رافضا كل محاولات الاستغاثة منهم طالبين الرحمة ولو لساعة إلا ربع.. اللي يغيظك بقى إنه أول ما ربنا يكرمه ويصحى من النوم تجده يشكونا لأنفسنا بأنه طول الليل ما عرفش ينام كويس بسبب صوتنا المرتفع الذي مهما ارتفع فهو همس بالنسبة لعزفه الأنفي اللايف (المباشر).. يشكو مننا عمي عزت الذي جعل سكان الغرفة - واحتمال يكون الجيران كمان - يغنون طوال الليل بكل أسى وحزن أغنية: أنا عايش ومش عايش.. على طريقة أنا نايم ومش نايم.. يشكو مننا عمي عزت رغم إني حلفت له ع المصحف إن صوت عزفه أعلى من صوت عبد الحليم وهو بيقول:

جباااااااااااااااااااااااااار - لكن ليس في رقته - وإنه لو استمر شهرين تلاتة على كده هسميه العندليب العازف.. يشكو مننا عمي عزت رغم إن أخويا مالك سجل له صوت عزفه وصورتنا واحنا بنعيط من قلة النوم، واللي يغيظك إنه أنكر هذا بشدة، وكأن ما سمعه هو تشابه أصوات..

لكن ده كله كوم واللي عمله عمي عزت في هذه الليلة كوم - أو دوت كوم - تاني.. لأنه عادة ما يبدأ عمي عزت عزفه الأنفي من نقطة الصفر.. يعني يبدأ بشهيق عادي وينتهي بزفير غير عادي.. يبدأ بصوت منخفض وكأنه بيستأذن الموجودين في ست سبع ساعات إزعاج.. ثم يرتفع الصوت وكأن الموجودين قد وافقوا على استئذانه رافعين شعار: براحتك يا عم الحاج.. ثم يرتفع الصوت ويصل لمرحلة أوركسترا الأوبرا - والدقي كمان - على أساس إن عمي عزت قد قابل شعار براحتك يا عم الحاج بشعار انتوا اللي جبتوه لنفسكوا.. لكن في هذه الليلة عمي عزت جاب من الآخر.. يعني البداية عبارة عن صورة طبق الأصل أو كوبي من النهاية التي دائما ما تأتي على دماغنا.. نترك عمي عزت ونعود لصباح هذه الليلة التي بالتأكيد قد عرفتم سر حالتي في صباحها وأنا أسير متجها ناحية محطة أركوري داعيا عَلَى، قصدي لعمي عزت.. وجدت شابا أسمر يتجه ناحيتي بحماس قائلا بالفصحى: السلام عليكم.. رديت السلام بصعوبة وأنا عيني شبه مغمضة من قلة النوم.. وجدته يسألني عن كيفية الوصول لسوق مونزا لأنه بقاله أسبوع في إيطاليا مش أكتر.. شرحت له الطريق ولكني نبهته أن سوق مونزا بيبقى الجمعة، يعني بكره؛ لأن النهارده الخميس.. وجدته يضحك ويؤكد لي أن النهارده الجمعة وإن شكلي مش واخد بالي من ترتيب أيام الأسبوع.. أكدت له إني واخد بالي، لكن البركة في عمي عزت اللي بعزفه جعل اليومين يلحموا في بعض.. هنا تحديدا بدأت أشعر إني فعلا صاحي وإني عندي شوية تركيز يكفوا كمان ساعتين تلاتة مش أكتر.. تقدر تقول ماشي ع الاحتياطي.. تجاذب معي أطراف الحديث وعرفت أنه سوداني واسمه عبد الرحمن ولسه جاي إيطاليا عن طريق ليبيا ببلاش تقريبا بعد أن قرر القذافي - أبو زنجة زنجة - الانتقام من أوروبا عن طريق فتح باب الهجرة غير الشرعية على مصراعيه.. عرفت من عبد الرحمن أيضا

إن عنده ٣٥ سنة ولم يتزوج حتى الآن وأن هذا ليس بسبب كسل أو نسيان وإنما يتلخص في جملة قالها بلهجته السودانية اللذيذة: الله غالب والدنيا جبارة.. ثم فرحت جدا عندما وجدته يسألني عن كيفية النجاح في هذه الغربة رغم إني لسه بذاكر زيه.. هنا تنحنحت متقمصا دور الشارح الفاهم وأنا أؤكد له أن اللغة هنا من أهم عوامل النجاح وأن يسعى بكل جدية لكي يتعلمها حتى يعرف ما له وما عليه هنا وحتى لا يضع نفسه تحت مقصلة الجهل، يعني من الآخر يا إما يتعلم إيطالي يا إما الطلاينة يتعلموا سوداني عشان ينجح في البلد دي.. تنحنحت أكثر وفرحت أكثر وهو يسألني عن كلمتين تلاتة يقولهم في السوق كنوع من أنواع التصبيرة اللغوية وشعرت بعد ما شرحت له معنى خمس كلمات بالإيطالي إن عبد الرحمن من النوع اللي فعلا هينجح في البلد دي، رغم إنه لم يحفظ ولا كلمة من اللي قلته، لكن شعوري كان نابعا من حزنه على عدم حفظ الكلمة.. وأخيرا تنحنحت بقلق وأنا أؤكد له على الإصرار الذي سيجعله قادرا على تحمل كل شيء هنا ما عدا عزف عمك عزت؛ لأنه فعلا مش هتقدر تغمض عينيك..

فصل رابعة رابع

٤/٤

كوكتيل

ارغي يا شهرزاد

كان يجب أن أفكر جيدا ومرة واتنين واتنين ونص قبل أن أفاتح أبو أميرة، الراجل الطيب اللي شغال معايا، في قرار مهم ومصيري، وهو إنه نظرا لظروف خاصة بالعمل سيتم إلغاء ساعة الراحة اليوم، وهذا لسببين، الأول: إنه يوم الأحد هو يوم البيتزا أو البيتزا العالمي عند الطلاينة، والثاني: إنه النهارده مباراة القمة بين ميلان والإنتر، ولهذا تؤكد المؤشرات الأولية أن الضغط هيزيد على أكل البيتزا تحت شعار الفايز هياكل بطعم الفرحة، والمهزوم هياكل أكتر عشان ينسى - أنا كزملكاوي لو عملت كده هشتغل بأكلي بس - هنا تجهم أبو أميرة ونظر لي نظرة ثورجي لزعيم من زعماء الفلول وفاجأني بسؤال ليس له محل - أو سوبر ماركت - من الإعراب وقال لي:

- وهما يلعبوا ليه كورة النهارده؟

قمت بامتصاص دهشتي وذهولي وقلت له:

- يعني هما أكيد لقوا نفسهم فاضيين النهارده العصر قالوا نلعب مع بعض بدل ما حد ييجي يلعب علينا.. لم يقتنع أبو أميرة بردي ونظر لي مرة أخرى وكأنني رئيس اتحاد الكرة الإيطالي.. قرأت هذا في عينيه فقلت له:

- ولا يهمك، أنا هتصل حالا ألغي الماتش وأقول لهم أبو أميرة مش فاضي، واللي عايز يلعب أُدام بيته ويا سلام لو نوى الصيام قبل الماتش.. هنا سألني سؤال أكثر حكمة وأقل هبلا بكثير من السؤال الأول:

- طب ليه ما قلتش من إمبارح عشان أعمل حسابي وأنام بدري؟

قلت له بهدوء شاعر في برنامج أوتار الليل إنه عنده حق في هذه النقطة، لكني تخيلتك عارف يا أبو أميرة لأن دي مباراة قمة، والزباين آخر أسبوع صدعونا بتوقعاتهم للماتش.. وحتى يقتنع أبو أميرة ونبدأ شغل وعدته بتزويد المنيو الخاص بالبيتزا بجدول مباريات الدوري العام.. عملت

نفسي مش واخد بالي منه وهو يعقد حاجبيه بشده لدرجة إنهم دخلوا في بعض وبقوا حاجب واحد وسألته عن توقعاته لنتيجة مباراة اليوم التي حرمته من ساعة الراحة أجاب داعيا بحنق:

- يا رب الفريقين يتغلبوا..

أضحكني رد فعله لأنها نتيجة لا يمكن حدوثها إلا إذا قرر الحكم إحراز أهداف في الفريقين.. شعرت أن أبو أميرة زعل من ضحكي على كلامه.. حسيت بالذنب شوية صُغننة فقررت أن أخرجه من هذا الجو حتى لا يزعل مني أكثر، والأهم عشان نبدأ نشتغل ولأني أعلم جيدا أنه يعشق العمل على سماع الأغاني قمت بتشغيل الأغاني في تليفوني وبالصدفة البحتة الحلوة وجدت إن الأغنية اللي اشتغلت هي رائعة الأخ الشقيق عبد الباسط بن أبي حمودة «أنا مش عارفني».. التي بمجرد أن بدأت نظر لي أبو أميرة صاحب الأربعين عاما نظرة تؤكد أنه مع الكوبليه التاني منها هنتخانق أنا وهو.. شعرت بأنني قمت بتزويد الطين رمل وأسمنت فقمت بإيقاف الأغنية وقلت له:

- لو مش عاجباك نغيرها فاجأني برفضه لهذا وإن نظرته لي تعني أنني بتشغيل هذه الأغنية تحديدا جيت له ع الجرح بالملح.. قمت مقطبا بهز رأسي فقط دون كلام حتى يشعر بتضامني معه، والأهم من هذا إنه يفتكر إن ورانا شغل لازم نعمله، لكن يبدو أن هزة رأسي السحرية قد قامت دون قصد بفتح ماسورة ذكريات أبو أميرة ومعاناته في مصر ثم معاناته في الغربة وعن تعرضه لكمية ظلم تكفي خمسين ستين فيلم هندي، وطبعا أبو أميرة بيحكي وهو متوقف تماما عن العمل وأنا شغال جنبه لوحدي متظاهرا بالاستماع الجيد له، رغم أنني كنت أفكر وأفتش عن وسيلة لإيقاف نزيف الذكريات الهندية.. تذكرت الأغنية المتوقفة فقمت بتشغيلها مرة أخرى لعلها تنجح في لفت انتباهه بعيدا عن

الاسترسال لنجد الكابتن عبد الباسط بيقول:
- قولي لي إيه يا مرايتي.. قولي لي إيه حكايتي..
وجدت أبو أميرة صاحب الحكايات الكثيرة يشير لي بسرعة إيقاف الأغنية فقمت بإيقافها لعل وعسى يسمَّعني جملة: نكتفي بهذا القدر..
إلا أنه سألني:
- عارف الجملة دي في الأغنية بتفكرني بإيه؟
قلت له:
- أكيد بتفكرك بالشغل اللي ورانا دلوقتي.. وجدته كمن لم يستمع لردي، مجيبا بأنها تفكره بأكثر المواقف اللي اتظلم فيها هنا..
قلت له:
- يا أبو شهرزاد، الشهيرة بأميرة، لو كل جملة فكرتك بحكاية إحنا كده لازم ناخد أسبوع أجازة عشان نسمع الأغنية.. ويبدو والله أعلم إن كلامي كان معناه احكي يا معلم؛ لأنه أقسم لي بأنه بيزعل من نفسه لما بيبص الصبح في المراية..
قلت له:
- مش مهم تبص الصبح طالما بتزعل في الوقت ده، يعني ممكن تبص بعد العصر أو بعد الشغل مثلا.. وكالعادة أكمل بحماس متجاهلا ردي بأنه لما جه البلد دي منذ سبع سنوات لم يكن بمثل هذا الصلع وأخذ يمدح في جمال شعره الذي ذهب مع ريح ميلانو لدرجة إني حسيت إن شعره كان أجمل من شعر ميدو قبل أن يتحول لحسام حسن..
قال لي:
- كنت بزعل لما أشوف شعري بيسقط من راسي أُدام عيني..
قلت له:
- ما يمكن انت كنت بتستعمل مُزيل شعر بدل الشامبو.. هنا تحديدا

نظرت إلى الساعة اللي كان مفروض يشتغل فيها معايا لأجدها قد قاربت على الانتهاء فقررت الانتقام لها ولي ولعبد الباسط حمودة شخصيا وشعبيا، وقلت له:

- اسمح لي يا أبو أميرة وأنا زي أخوك الصغير إني أقول لك إنك غلطان وإن مشكلتك هي إحساسك الدائم بالظلم من الآخرين، في حين إنه من الممكن أن تكون أنت ظالما لنفسك وللآخرين دون أن تشعر.. وأكدت له ببراءة الغربة من طيران شعره المهفهف؛ لأنه كان هيطير في مصر برضه.. أكدت له إحساسى ببراءة اخواته من ظلمهم ليه، لأنهم وضعوك على بداية الطريق وكان عليك أن تكمل دون الاعتماد الكلي عليهم على أساس إنه لو كان حبيبك عسل.. سيب شوية في البلاص.. لم ألتفت لتركيزه في كلامي وأكملت له وجهة نظري التي اقتنع بها تماما، وهي أن وهم إحساسنا بالظلم هو خطأ فادح نرتكبه في حق أنفسنا.. أنهيت كلامي معه بجملة: يا ريت تكون فاهمني ومش زعلان مني.. أجاب بصدق بأنه مش زعلان، ثم تلفت حوله بحماس ناظرا للشغل وسألني:

- إيه أول حاجة هنعملها في الشغل دلوقتي؟

قلت له:

- أكيد أول حاجة هنعملها هي إننا نمسح الأغنية اللي ضيعت عليك ساعة الشغل دي.

امسك حرامي

من حسن حظي المهبب إني كنت رائد الفصل في معظم المراحل التعليمية.. ومن حسن حظي بجد بقى إني قابلت معظم أصدقاء الدراسة هنا في إيطاليا، يعني تقدر تقول إننا جيل إيطالي النزعة.. المهم إن أصدقاء الدراسة لسه فاكرين جمايلي عليهم.. يعني على سبيل المثال، وليس المعايرة، كان لما الأستاذ يطلب مني كتابة اسم اللي يتكلم على السمبورة ساعتها لو لقيت صاحبي بيتكلم أبتسم له وأغمز له - يعني اهدى شوية يا معلم - وإذا تكرر الأمر وصاحبي اتكلم أكتب اسم اللي جنبه - اللي هو مش صاحبي - لأنه أكيد هو السبب في أن صاحبي البريء بيتكلم يا جدعان.. وهنا قابلت صديقي حسان أو «هسان»، بالإيطالي، وفرح جدا إنه شافني وانا فرحت أكتر لأني غششته غش في ثانوي يدخله طب من الأدبي، بس هو كان غاوي معهد فني صناعي وربنا كرمه وطلع منه صنايعي مش فاهم حاجة خالص.. وسافر بعدها مباشرة.. وجدت هسان - اللي هو حسان بالعربي - مصمصم على اصطحابي في رحلة بسيارته المرسيدس عشان يوريني إيطاليا اللي أنا لسه ما شفتهاش.. حلفت له إني بقالي أكتر من شهرين وشفت معظمها، قال لي أنا هوديك أماكن جديدة وبعيدة، قلت:

- ربنا يستر ليسرح ونلاقي نفسنا في تونس.. حاولت اختبار تصميمه - لتكون عزومة مراكبية - بأنه مفيش داعي يتعب نفسه ويهلك موتور المرسيدس..

قال لي بحسم حقيقي:

- عيب عليك، ده احنا بينّا عيش وملح.. صححت له المعلومة بأنه كان عيش وغش أيام الثانوية.. وجاء اليوم الموعود وركبنا المرسيدس وانطلقنا، وبدأ حسان حديثه بذكرياتنا زمان، وأنا بخبث فكرته بكل سؤال غشه مني، لقيته بينكر وبيقول لي انت كنت بتغششني غلط يا عم..

قلت له:

- ازاي غلط يعني؟ كنت بغششك جغرافيا يوم امتحان علم النفس؟ انت اللي خطك وحش يا هسان.. والإجابة في ورقتك بتبقى زي ما تكون عامل عمل فيها.. صح يا حسان ولا أنزل من المرسيدس وأركب توك توك وأرجع؟

استمر حديثنا عن ذكريات الدراسة ولم يقطعها غير سؤالي عن أحوال هسان صديقي في الغربة - يا ريتني ما سألته - لأن صديقي أطلق تنهيدة صوتها عبارة عن كوكتيل من فحيح الأفعى وفرامل المرسيدس.. تنهيدة ساد بعدها صمت تام لدرجة إني فكرت إني أغششه الإجابة زي زمان.. لكنه كان الصمت الذي يسبق العاصفة الكلامية ليؤكد لي صديقي أنه كافح كتير في البلد دي وتعب كتير فيها.. فكرت إني أقوله إني برضه تعبت أوي وجالي برد الأسبوع اللي فات حتى أغير دفة الحديث عن كفاح شعب حسان الذي استلم وداني بالحديث عن الظلم الذي تعرض له في مصر التي لم تقدر إمكانياته.. وبيني وبينكم وعلى الملأ ما قدرتش أتحمل كلمة إمكانياته دي وقاطعته بسؤالي عن أي إمكانيات يتحدث عنها وهو كان بيغش مني الرسم؟ ولم أنتظر إجابته ونقلت له وجهة نظري بأنه لازم يقول الحمد لله إنه هنا بيكافح وبيلاقي مقابل، على عكس الناس في مصر اللي كل ما تكافح يزداد طابور العيش طولا، وكأن الكفاح هو سبب عرق الطول اللي بييجي للطابور.. فهمته إن الصعوبة هنا تكمن في مواجهة الغربة والحنين للأهل والأصدقاء في مصر فقط لا غير.. وإنه هنا شغال بالساعة وهناك الشغل في المصانع من أول ما تصحى من النوم لحد ما تفقد الوعي - ده إن لقيته أساسا - ولخصت وجهة نظري له بأنه بيكافح هنا لكن بمقابل، لكن فيه ناس كتير أوي هناك بيكافحوا أكتر وبيسمعوا أغنية «اتقدم» لأحمد زكي ٣ مرات بعد الأكل ومفيش فايدة..

وهنا تغير هسان وابتسم لأنه شعر بأني قلبتها جد شوية في يوم المفروض إنه للفسحة وباغتني بسؤال عن توقعي لسر نجاحه في البلد دي؟
ضحكت وقلت له:
- إن سر نجاحه هنا أكيد هو سهولة التصحيح، غير مصر يعني، اللي بعد ما شبع فيها غش دخل معهد غير فني صناعي.. نفى إجابتي الصحيحة ورد بحسم إن سر نجاحه هو معرفته بالقانون الإيطالي عن ظهر قلب لأن وإنه لولا الملامة وطول قامته كان زمانه بقى متر أد الدنيا هنا.. حسيت إنه بيتكلم صح وإني أخيرا هبدأ أستفيد منه لأني اتعذبت في تخليص ورقي لأني رئيس مجلس إدارة الجهل بالقوانين وعدم وجود درج مفتوح لدى الموظف المسئول عشان ترمي فيه خمسين يورو وتخلص ورقك.. وأخذ هسان يستعرض عضلاته القانونية أمامي وأنا متحمل عشان أفهم.. لأني كنت حاسس إني قاعد جنب مرتضى منصور - ربنا يستر ليرفع عليَّ قضية - وهنا توقفت المرسيدس أمام اليورو سبين وهو مكان زي «كارفور» في مصر ونزلنا نتفرج، ولو عجبنا حاجة نشتري.. المكان أكثر من رائع ومنظم جدا.. سرحت في جمال المكان وتركت حسان عمال بيحكي قوانينه وهو فاهم إني سامع له.. فكرت إني أصور المكان، نهرني صديقي المتر بأن القانون هنا لا يسمح بذلك.. وصلنا قسم البرفانات والروائح الجميلة والغالية جدا – ما تغلاش عليَّ طبعا - سألت حسان عن نوع برفان اسمه لوكسيوري بس بيبقى فرنسي الصنع ومتربي في إيطاليا.. وللأسف لم نجد منه غير الصيني - لاحقني في كل دولة أروحها - ورفضت اقتناء النوع الصيني رغم زنّ هسان المتواصل على مشاعري الرافضة.. واستمر في الإلحاح وانا استبسلت في المقاومة إلى أن فاجأني حسان بفتح العلبة وأعطى نفسه رشة بريئة على ملابسه كمحاولة أخيرة لإقناعي بحلاوتها.. استغربت لأنه فتح ورشّ منها عادي..

قال لي:
- القانون يسمح بذلك.. وبعد جولة كبيرة باليورو سبين عجبنا كل حاجة والحمد لله ما اشترياش حاجة - حيرة مش إفلاس - واحنا طالعين من الباب سمعنا صوت الإنذار السريع المتتالي انطلق في المكان، وده بيحصل لما يبقى فيه سرقة.. تلفت كل الموجودين لنا وفوجئنا بـ٤ رجال أمن القصير فيهم طول «هرقليز» يحيطون بنا أنا وحسان وطلبوا مننا بكل أدب إننا نعبر للخارج واحد واحد عشان يحددوا المشكلة فين وفي مين.. عبرت خط الليزر كأني بعبر خط باراليف وأنا حاطط إيدي على قلبي رغم ثقتي التامة في نفسي إني لا اشتريت ولا مديت إيدي.. والحمد لله عدت اللحظة بأمان ولم يصفر الجهاز.. وعندما عبر حسان انطلقت الصفارة.. طالبه الأمن الهرقليزي - بكل أدب - بإخراج كل ما في جيوبه على الترابيزة.. وبالفعل أخرج صديقي تليفوناته الكثيرة ومتعلقاته وميدالية غريبة فيها مفاتيح كتير جدا - شايل طفاشة يا حسان؟ - وعبر مرة أخرى وازدادت صفارة الإنذار قوة وكنت حاسس إنها هتنطق بالمصري: امسك حرامي.. اقتربت من صديقي وقلت له: الناس بتبص علينا، ما تطلع اللي في جيبك واخلص.. قال لي بثقة: والله ما حصل.
قلت له: يمكن المشكلة في العطر اللي رشيته على نفسك وإن ده غلط وإنك مش مذاكر صفحة قانون البرفان كويس.. وبعد محاولات عبور كثيرة فاشلة من جانب حسان اتضح أن المشكلة إنه اشترى كوتشي موجود بالمكان من محل آخر ليس به جهاز إنذار ولم يقم بنزع الكوديتش - كارت ممغنط - الغريب بقى إنه بعد حل المشكلة وديا نظر أحد رجال الأمن لأوراق صديقي ثم نظر لهسان بشك.. قلت لصاحبي: إيه يا عم؟ هي هسان يعني حرامي بالإيطالي؟ قال لي: لأ، حرامي يعني لادرو.. قلت له فيهم شبه من بعض يا لادرو يا بتاع القوانين.

آسف على الإطالة، لكن يبدو أن سيرة الكفاح كما تزيد طابور العيش طولا.. تفعل نفس الشيء مع العبد لله.

أنا والكاربنيري وهواك

عزيزي القارئ.. عزيزتي القارئة.. أعزائي المشاهدين.. قبل أن تبحثوا في الذاكرة عن معنى كلمة كاربنيري، وتوفيرا للبحث والنفقات هعرفكوا إن معناها الشرطة بالإيطالي، وطبعا حضراتكم عارفين معنى كلمة هواك - ما هو أنا مش هشرح كل حاجة - المهم خير اللهم اجعله خير وذات ليلة إيطالية ممطرة وبينما كنت أقف في بلكونة المنزل أستمتع بمنظر حبات المطر وهي تتساقط من السماء الغاضبة في هذا اليوم.. في اليوم ده كان بقالي أسبوعين فقط في إيطاليا، وأول مرة أشوف مطر بالكثافة والجمال ده.. أثناء ذلك كله فوجئت برجل شرطة ويبدو أنه رتبة كبيرة؛ لأنه كان يرتدي بدلة من كتر الدبابير المتعلقة فيها ما كانش قادر يمشي - تقدروا تقولوا لابس عشة دبابير - المهم إن هذا الظابط – أبو دبابير - لقيته بيبص لي، ومش كده وبس.. لأ بيكلمني كمان، وطبعا ما كنتش فاهم ولا حرف، وفي الوقت ده تحديدا حسيت بمدى أهمية وقيمة جملة بريء يا بيه بالإيطالي.. المشكلة بجد إن الراجل كان بيبص لي وبيتكلم كتير.. وأنا في بالي بقول:

- يا لهوي دي كلها قضايا أنا متهم فيها؟ ده أنا بقالي أسبوعين بس يا عم.. على كده لما أقفل السنة هبقى صالح بن لادن.. وفكرت أيضا في أي رد خفت أقول سي، يعني نعم، تبقى دليل ضدي في المحضر اللي عمال يقوله، وخفت أقول نو يقول لي بالعربي: طب عليَّ النعمة ما أنا سايبك.. وفين وفين لما افتكرت الجملة اللي فضلت ملازماني أول شهرين وهي: نو بارل تالياني بينه.. يعني ما بعرفش أتكلم إيطالي كويس.. ومن لخبطتي ساعتها قلت بالعربي وأنا بشاور له بإيدي: ثانية واحدة.. دخلت كالصاروخ في الصالة وجدت صديقي حمادة عمال يسمع المسلسل التركي وادي الذئاب وبيبص على الشاشة والدمعة هتفر من عينه؛ لأن البطل مراد جاله برد الحلقة دي وحمادة خايف لتكون إنفلونزا العصافير.. المهم

إني قلت له: وغلاوة مراد عندك لتقوم تشوف وزير الداخلية اللي بره ده عايز مني إيه.. ولأن مراد عند حمادة أغلى من الكوتشي النايك اهتم بكلامي ونزل معايا وأنا برضه أخدت الشمسية - حاجة من ريحة البيت - ونزلت معاه.. لقيت حمادة بيكلم الراجل بمنتهى الهدوء والثقة وراحة البال.. المهم إن أبو دبابير بعد خمس دقايق كلام مع حمادة قال لنا مبتسما بشدة:

- جراتسيا.. ودي تاني كلمة أعرفها بعد تشاو في البلد.. بصيت لحمادة قولت له:

- براءة يا معلم؟ ضحك وقال لي:

- براءة خالص.. مفيش حاجة يا عم، الراجل كان بيستفسر على اسم واحد وهل هو ساكن هنا ولا لأ.. قال لي أيضا إنه الراجل نص كلامه كان بيتأسف لنا إنه نزّلنا في المطر.. قلت له:

- روح الحقه وقول له يتأسف ليَّ.. إحنا لو في مصر - قبل الثورة - كنا زماننا بندور على الراجل ده معاه، ولو ما حصلش وجبناه هنروح للمخبرين إياهم اللي من كتر الضرب ع القفا هيخلونا نغني: وعشان كده إحنا اخترناه.. أكد لي حمادة أن هنا القصة مختلفة تماما وأن الاحترام المتبادل بين الشعب والشرطة هو السائد.. أجد نفسي الآن وبعد الثورة أتذكر هذا الموقف وأتساءل: لماذا لا يصبح هذا الشعار هو أساس العلاقة بين الشرطة والشعب؟ لماذا لا تتغير مناهج كلية الشرطة القائمة على نظرية الأسياد والعبيد؟ لماذا أصبحنا متطرفين في مشاعرنا ناحية رجل الشرطة.. بمعنى أننا قبل الثورة كنا بنعمل أعلى احترام للمخبر ونحسسه إنه وزير الداخلية.. وحاليا بعد الثورة نسمع نغمة عدم احترامهم كظباط مش كمخبرين بس.. كنا قبل الثورة نلوم على ظباط العادلي بشدة، لكننا كشعب بعد الثورة دخلنا دائرة اللوم أيضا.. لا بد من إيجاد حلول لهذه

المعادلة؛ لأن الأمن والأمان هما أساس بناء أي دولة.. نحن لا نريدهم ظالمين وأيضا لا نريدهم عديمي القيمة والوجود.. لن أنسى في ثاني موقف احتكاكي لي مع البوليس الإيطالي عندما قابلني أحد الظباط وهو أقل رتبة من الأولاني - الظاهر إن الدبابير كانت شاحة في السوق - المهم إني وقتها كنت بنطق إيطالي.. الظابط كان بيقول لي بكل أدب:

- لو سمحت ممكن أشوف بطاقتك..

بصراحة كنت مكسوف من ذوقه.. شاف بطاقتي وابتسم عندما عرف أنني مصري ووجدته يتحدث معي بكل ود عن أنه نزل مصر العام الماضي وذهب للقاهرة وشرم الشيخ.. استغليت الفرصة وسألته عن رأيه في القاهرة.. ضحك وقال لي أكتر شيء لفت انتباهه فيها هو «بيب بيب»، قاصدا بذلك صوت سيمفونية كلاكسات السيارات التي لا تنتهي، بمعنى إنه ممكن تبقى العربية كلها بايظة ومفيش غير الكلاكس اللي شغال ومجسم كمان.. فكرت أسأله:

- طب ما سمعتش بقى بيب بيب أهلي أو بيب بيب زمالك - الله يرحمه بقى؟ وكنت عايز أقول له برضه إن بيب بيب دي لغة بين السائقين يعني بيب بيب غير بيب بيييييييب.. غير بي بي دبليو سي.. المهم أنني لم أرد مكتفيا بابتسامة ليس لها معنى رد عليها قال لي:

- جراتسيا.

قلت له:

- بيب بيب.

لست وحدك يا مليجي

يا سعدك يا هناك وهتبقى يور مازر داعيالك وحماتك داعية عليك لو نلت شرف الجلوس أمام عمي عيد الحلاق الشهير الذي لم تنبع شهرته من كفاءته ولا من حِدة شفرة موسه، لكن من إنه المصري الوحيد في مونزا الذي يزاول هذه المهنة ويحتكر الصنعة - اشمعنى يعني أحمد عز؟ - وبحكم وجودي في مونزا فوجئت بأن معدل طول شعري زاد عن معدله في مصر، وأعتقد أن هذا يرجع إلى النُص طن مكرونة الذي التهمته في البداية - جاي من الصومال؟ - ولاحظ صديقي الصدوق إيهاب طول شعري ونهرني بشدة، وكأن طول الشعر له علاقة وطيدة بطول اللسان في مونزا.. وهدأت من روعه ووعدته بالتقليل من أكل المكرونة وعدم لعب العقلة. وناشدته البحث عن حلاق محترم وفهمت من رده أنني أمتلك ثلاثة حلول لا يوجد بينها الاستعانة بجيب صديق - كان قاعد من الشغل - ويتمثل الحل الأول في أنني أتخيل إني بقيت إيطالي واسمي صالحيانو إن ميلانو وأذهب إلى محل حلاقة إيطالي على أعلى مستوى.. وسر ارتفاع مستواه هو إن اللي هيتشرف بحلاقة شعري واحدة ست.. رفضت طبعا ونهرته بأنه كيف يسمح لواحدة ست حتى إن كانت مزة آخر حاجة إنها تحلق له وتشيل شنبه – ما شافش فيلم شنب أبو سويلم - وأقنعته بأنني أقوم بحلاقة شنبي لنفسي وأنا مغمض العينين ولن أكون مرتاحا هكذا، لكن هرتاح أكتر لو اتفرجت عليه والست بتحلق له ومش بعيد أصوره وأنزله على اليوتيوب تحت عنوان «لست وحدك يا مليجي.. حلقة وندمان عليها».. وتمثل الحل الثاني في مأساتي الشَعرية - بفتح الشين - إني أذهب طواعية إلى محل حلاق جزائري، ورفضت أيضا لأن حظي العثر تمثل في أن الرئيس مبارك لم يكن قد قام بزيارته المفاجئة إلى الجزائر ماددا لهم يد الخير لتهدئة الأوضاع وحماية رءوس أبنائه في الخارج - اللي هو أنا يعني - وحاول صديقي إقناعي بأن الحلاق الجزائري ليس له في الكرة من

قريب أو بعيد أو حتى من عند الكورنر.. رفضت، مبررا له ذلك بأن رأسي شبه الكرة وأكيد هتفكره بالأربعة صفر الأنجولية.. ومش بعيد يفتكرني حسني عبد ربه الحريف أو زيدان المفتري أو عبد الشافي الطيب أو جدو رغم إن سني أصغر من كده، ولا حتى هو حفيدي.. وهكذا وصلنا إلى الحل الثالث والأخير، وهو عم عيد حلاق مونزا الديليفري.. بمعنى أنه لا يمتلك محلا مثل باقي الحلاقين، وإنما يمتلك دراجة إيطالية أصيلة وإصرارا مصريا أكثر أصالة على الوصول لرءوس محبيه في كل مكان.. وما علينا فقط هو أن نرن عليه وهو سيبادر بفتح الخط متسائلا عن مكان الرأس المطلوب حلاقته على وجه الشفرة - قصدي السرعة - واعدا المتصل بسرعة الوصول إلى شعره الغجري المنكوش.. لم أوافق صديقي على الفور ولكن سألته عن مستوى عم عيد الفني في الحلاقة، خاشيا أن تكون كثرة لفه ودورانه بالعجلة في مونزا تجعله يصل للزبون منهكا ويطلب «جلوكوز» بدل الشاي.. طمأنني صديقي بأنه فنيا حلاق ابن حلاق ويجيد قيادة الدراجة أكثر من العندليب في أغنية حاجة غريبة - فينك يا شادية؟ - وازداد اطمئناني بعد أن علمت أن صديقي أيضا هيحلق قبلي عشان أشوف بنفسي، وأيضا لأنه عايز يشيل شعره على الزيرو، ولم أسأله لماذا لأني حسيت إنه عايز يبدأ حياته من الصفر، سواء برصيد جيوبه أو شعر رأسه.. وافقت بعد أن اطمأن قلبي وشعري بأنني سأقرر مصيره بناء على تجربة.. اتصل صديقي بعم عيد الذي أبلغه بقدومه على الفور، يعني مسافة السكة.. وجاء بصراحة قبل معاده - هيقبض باليورو - وهو رجل في منتصف الأربعينات من عمره.. مهندم الثياب.. قصير القامة طويل الشعر، وتقريبا مش لاقي حد يحلق له شعره، أو بمعنى أدق يخلصه منه.. دخل عم عيد حاملا شنطته الكبيرة وفتحها على الفور وأخرج العدة وجلس أمامه صديقي إيهاب الذي أبلغ عم عيد بأنه أصدر قراره على

شعره بالزيرو، يعني الإعدام.. وعندما سأله عم عيد بدهشة: يعني إيه؟ تدخلت مفهما إياه بأنه طالما إعدام يبقى يا ريت تبقى الفوطة حمرا حتى يكتمل الجو العشماوي في المكان.. ضحك عم عيد ونظر بمعلمة إلى شعري الكبير سائلا إياي وإياه - شعري يعني -: وانت مش هتحلق يا أستاذ ولا إيه؟

أجبت بأنني لسه بشاور شعري وباخد رأيه.. ويبدو أن عم عيد لم يفهم ترددي ولا كأنه سمع حاجة.. لأنه أجاب بكل ثقة: لأ، ما تقلقش هتبقى حلقة جميلة، انت بس خش اغسل شعرك وتعالى لي.. غمغمت في أعماق نفسي بأنه يبدو أن الحلاقة عند عم عيد بالإكراه وشعاره ليَّ شعر راسك يطول لما ممكن تخليها توشكى.. نظرت بإشفاق إلى صديقي وشعره يتساقط أمام عينيه بسبب ماكينة عيد الجزار.. الذي شبهته في هذه اللحظة بالخريف الذي يهل على رءوس الشباب الأخضر اللي زي حالاتي.. المشكلة الحقيقية اللي واجهتني إني ما قدرتش أحكم على مستوى عم عيد من خلال رأس صديقي لسببين، الأول: إن أي حد ماشي في الشارع ممكن يشيل شعره على الزيرو.. مش محتاجة صنعة. ده لو دخل خناقة مع شوية عيال بلطجية صح هيطلع منها حالق ع الزيرو ومعاها بشلة هدية في خده اليمين.. والسبب الثاني أن عم عيد لم يستغرق خمس دقائق في نسف رأس صديقي، وهذا ظلم بيِّن.. ازاي تقعد تربي فيه شهر وتهريه شامبو وجل ويتشال كده في خمس دقايق؟

المهم إن صديقي - الأقرع - خلص وغمز لي بثقة وقال لي نفس جملة عم عيد: خش اغسل شعرك وتعالى - حاسس إنه خد نص الأجرة - نظرت إلى الكرسي ثم إلى الشنطة ثم إلى صحراء صديقي - رأسه سابقا - واقتربت من عم عيد، معلنا له إني هحلق، ولكن ليس مثل صديقي خالص.. وعرفته بأني ما زلت متمسكا بشعري وبأنه بمجرد جلوسي على الكرسي لازم

يسألني السؤال المعتاد في مثل هذه الظروف..
سألني بدهشة: سؤال إيه يا أستاذ؟
قلت له: اسألني نفسك في إيه قبل ما تحلق؟

دفاعا عن حق البوبي

«عايزك ضروري.. هستناك عند النافورة في مونزا».. هكذا قال لي سعيد، ابن عمتي، في التليفون بحماس، ولأنني أعرف سعيد جيدا، خصوصا لما يبقى متحمس، ببقى عارف إن الموضوع تافه جدا وممكن يتأجل لدرجة النسيان.. المهم إني نزلت وقابلته وفوجئت بأنه فعلا عايزني في موضوع مهم خاص بيه يستلزم التفكير وبعمق وارتفاع كمان.. ولأن مونزا تتمتع بشوارعها النظيفة الخضراء التي تساعد على التفكير وليس الصمم قررنا أن ندردش في قصته واحنا ماشيين.. اتكلمنا.. حكينا.. سرحنا مفكرين في حل لمشكلته.. وأثناء السرحان المشترك ده فوجئت بصوت نباح كلب عالي جدا يقطع هذا السكون وفوجئت بأن سعيد اتخض خضة ما شفتهاش في حياتي.. وما انكرش إني اتخضيت، لكن خضتي لا تقارَن بحالة الفزع التي انتابت سعيد لأنه انتفض بشدة وكلبش فيَّ قبل ما اهرب منه.. المهم أنني عندما نظرت لمصدر النباح العالي والخضة الأعلى فوجئت بأنه كلب صغير جدا وقصير جدا - كلب قزم - انتابتني حالة هيستيرية من الضحك على سعيد واحنا واقفين نبص على الربع كلب ده وصاحبه العجوز وزوجته يهدئان من روع الكلب.. المهم أن سعيد اشتاط غيظا وخضة وقام بتفريغها في الكلب وشتمه بالإيطالي.. قلت له:

- عيب ما تعملش مخك بمخ الكلب، ده انت راجل كبير وهو زي ما انت شايف مواليد ستة الصبح ويلا نمشي.. التفتنا لنكمل طريقنا فوجئنا بثورة عارمة من العجوز الإيطالي وقام بإيقاف سعيد في الشارع وسؤاله بحدة:

- لماذا يشتم الكلب ويقول اللعنة عليك إنك كلب ابن كلب - شكله كلب ابن ناس - ولم يرد عليه سعيد بهدوء، بل رد بحدة أكثر منه - بواقي الخضة الكلبية - بأنه مصمم على رأيه وإن الكلب ده فعلا كده.. ازدادت ثورة العجوز وانضمت إليه زوجته دفاعا عن حق الكلب في النباح المجسم.. وأنا واقف مندهش لأني حسيت إن الموضوع يقترب بشدة من الخناقة

بين سعيد وأصحاب الكلب، وحاولت تهدئة سعيد بأنه مفيش داعي للمشاكل وبعد كده لو نبح في وشك اشتم الراجل وما تشتمش الكلب بتاعه؛ لأنك شايف غلاوته عنده ومش مستحمل عليه حتى الشتيمة.. وحاولت من ناحية أخرى وعلى قدر ما أملك من إيطالي أن أهدئ من روع ابن، قصدي صاحب، الكلب الإيطالي، موضحا له أن سعيد ما كانش واخد باله من غلاوته عندك.. ومش حتة كلب اللي هيبوظ العلاقات بين الشعبين المصري والإيطالي ونفرج الناس علينا في الشارع.. الغريب أنه وسط محاولاتي لرأب الصدع بين الطرفين كان الكلب مش ساكت ناظرا لصاحبه العجوز وهاتك يا نباح كمن يقول له:

- اوعى تسيب حقي، إحنا بينا عيش وعضم..

ووسط نباحه كنت أنظر إليه قائلا:

- ارتحت كده يا بوبي؟ فزعت الراجل وهنضرب بعض وكله من تحت راس صوت نباحك؟ المهم إنه وبعد طول انتظار تمت السيطرة على الموقف والراجل خد كلبه ومشي وكملنا أنا وسعيد طريقنا.. نسيت الموضوع المهم اللي عايزني فيه وقعدت أضحك عليه لأني افتكرت منظره وهو مخضوض.. طالبني بعدم الضحك لأنه كده ممكن يرجع يقتل الكلب.. كلمته بجد وقلت له شوف الراجل بيدافع عن حق الكلب ازاي وخايف على مشاعره ازاي؟ ولأن سعيد هنا من خمس سنين قال لي: انت ما تعرفش حاجة.. وحكى لي سعيد - نسي هو كمان موضوعه المهم - إن الناس دي بتعامل الكلاب بشكل آدمي لأقصى درجة.. لدرجة إن الكلب لو ضاع لا قدر الله بيعملوا عليه إعلانات في الشارع بصورته ومواصفاته بحثا عن البوبي المفقود مع وضع مكافأة مالية ضخمة لمن يعثر عليه.. داعبته باقتراح مني وهو أن يقوم هو بسرقة البوبي وأنا أقوم بإرجاعه ونقسم المكافأة بالنص، بس بشرط وهو بيسرقه ما يتخضش من صوته.. رمقني بنظرة

نارية وأكمل بأن للكلاب دكتور خاص بيهم ومش دكتور بيطري عموما، ده دكتور كلاب متخصص في علاجهم من الصداع والأرق وعسر العضم أو الهضم.. وإنه كان بيشوف الكلب أمام العيادة وهو متردد في دخولها خوفا لأن ده معاد الحقنة.. اندهشت من كلام سعيد حتى رأيت بعيني بعدها بأسبوع مسابقة عالمية رياضية للكلاب في ملعب رياضي كبير هنا في مونزا وسط اهتمام إعلامي كبير؛ حيث توافد هنا أصحاب الكلاب من مختلف بقاع العالم، مستعرضين مهارات كلابهم في القفز والعدو والعض، وكل متسابق يحمل علم بلاده في يد واليد الأخرى بها سلسلة الكلب.. عقدت مقارنة سريعة وقاسية بين بلاد الكلاب فيها عايشة حياتها وواخدة كل حقوقها.. وبلاد أخرى البني آدم فيها زهق من البحث عن الحد الأدنى من حقوقه الضائعة.. انتهت المسابقة وفاز الكلب الأمريكي بالمركز الأول وتم تسليم الكأس - العضمة الذهبية - لصاحبه وسط دموع الفرحة لمشجعيه.. وعزف السلام الوطني الأمريكي.

صنايعي من كوكب آخر

أعتقد أنني لم أكن مخطئا في ردي على صديقي حسام بعد أن اتصل بي في الثالثة والنصف صباحا بينما كنت مختبئا تحت لحافين وعدد لا بأس به من البطاطين الإسباني - ماركة ميسي - ولأن حسام اتصل مخصوص في هذا التوقيت اللذيذ ليسألني عن نقاش محترم وابن ناس لتغيير لون مطعم البيتزا الخاص به، كان لا بد أن يسمع مني جملة اعتراضية شهيرة مغلفة بتأكيد مني وهو أنني حتى لو كنت أعرف مش هقول له إلا بعد أن ينظر لساعته.. ويبدو أنه فعلها لأن رده كان:

- طب نتكلم بكرة يا معلم..

قلت له:

- ده لو فضل رقمك عندي يا حسام.. وبالفعل تاني يوم اتصلت أنا بحسام - صِعِب عليَّ الرقم بصراحة - في معاد ساعة راحة أهله عشان يبقى واحدة بواحدة، وبالفعل رد على اتصالي وهو يتثاءب بشدة لدرجة إني شكيت إنه بلع التليفون وإن اللي بيرد عليَّ زوره مش هو.. وفرح بعد اتفاقي معه على مقابلته ومعي النقَّاش المصري للاتفاق.. وبالفعل ذهبت أنا والنقاش المصري إلى حسام، وبمجرد دخولنا المطعم تحول النقَّاش لشخص تاني لأني وجدته يصول ويجول ويتأمل كل شبر في المطعم بعين خبيرة - كان ناقص يدخل التلاجة - وبعد انتهائه من رحلته الفكرية بالمطعم طلع علينا بجملتين، الأولى مفيش أجمل منها في الدنيا وتستحق كل ثناء وتقدير وعرفان، وهي جملة «سمعونا صلاة النبي».. وبكل حماس وفي نفس واحد أنا وحسام قلنا:

- عليه أفضل الصلاة والسلام.. الجملة التانية كانت كالصاعقة على عقل وجيوب حسام بعد أن قال النقاش:

- ألف يورو، وأنا كده كارمكم وما تتكلموش معايا في فلوس..

قلت له:

- ازاي ما نتكلمش في فلوس ولا انت عامل حسابك تاخد بيهم بيتزا مدى الحياة؟

وبعد أن فاق حسام من صدمته قال للنقاش:

- ازاي يا عم الحاج؟ المطعم صغير جدا زي ما انت شايف.. ولأنه صاحبي قمت بالتلحين وراه، مؤكدا للنقاش إنه فعلا هييجي يدهن المطعم بس مش الحي كله وإنه صغير جدا لدرجة إنه ممكن يدهنه بالتليفون، ده لو ما عرفش ييجي يعني.. ابتسم النقاش مؤكدا لنا إنه فعلا اللي ما يعرفش يقول عدس..

قلت له :

- عدس ازاي؟ بس ده مطعم بيتزا مش كشري، وإنه لازم يحن شوية لأن حسام من ساعة ما سمع الرقم وهو ركبه بتخبط في زوره.. وللأسف ورغم وصلة إلحاح أخرى مني لم يتفق حسام مع النقاش الذي وصل لرقم ٨٠٠ يورو وعمل اعتصام.. أبلغني صديقي بعدها أنه بالفعل اتفق مع نقاش إيطالي محترف وعلى ٤٠٠ يورو فقط وحلفني بكل ما هو غالي ولذيذ أن أحضر لرؤية الفرق الشاسع بين صراحة الإيطالي وبين الفهلوة التي نمارسها على بعض كمصريين.. بالفعل ذهبت وجدت نفسي في انتظار النقاش الإيطالي الذي وصل في معاده بالثانية لدرجة إن حسام نظر له بفخر كمن رأى فارسة أحلامه، ثم نظر لي قائلا:

- شايف الانضباط؟

وبالفعل بعدها أبهرني النقاش الإيطالي على المستوى المهني بعد أن رأيت كمية العدة التي بحوزته.. حاجات غريبة كده عمري ما شفتها في بيت نقاش ولا حتى في البلكونة.. وحسام طبعا منشكح جدا ومحتفي جدا بالراجل وعمل له أحلى وأغلى بيتزا مع اتنين تلاتة كوكا.. بعد الأكل استأذن النقاش الإيطالي أندريه، وده اسمه على فكرة، لكي يغير ملابسه

ويرتدي الملابس الخاصة بالنقاشة.. هنا انبهرت بشدة أنا وحسام بعد أن خرج علينا أندريه مرتديا بدلة غريبة الشكل واللون والطعم.. بالظبط كده مثل بدلة س ١٨ في قصص ملف المستقبل، أو بمعنى أدق هي بدلة تصلح لأن تهبط بها على القمر بكل أمان مغنيا: يا اما القمر ع الباب.. بجد مش ممكن.. انبهرنا لدرجة إن حسام صرخ:

- أهلا سنيور أندريه.. ثم نظر لي مؤكدا لي أن أندريه شكله هيفرمها في ساعتين مش في يومين زي ما هو عايز حتى يستطيع اللحاق باحتفال رأس السنة.. وبالفعل بدأ أندريه في تجهيز اللون ثم أمسك بفرشاة صغيرة جدا جدا، لدرجة إني شكيت إنه هيكحل حواجبه بيها، ووقف جنب الشباك يدهن فيه.. وحسام ينظر له بفخر، وكل شوية يسأله:

- أجيب لك حاجة تشربها؟

وبالفعل لم يكسفه أندريه ولا مرة في موضوع الشرب ده.. لكن الغريب فعلا إنه حتى بعد مرور ساعتين ونص لم يتحرك أندريه نهائيا من جنب الشباك ولم يترك الميني فرشة التي يمسكها.. بدأ حسام يشعر بالقلق ثم نظر لي متسائلا:

- هو أندريه مش عايز يسيب الشباك ليه؟ قلت له: يمكن فاهم إنه هيدهن الشباك بس.. أكد لي إنه متفق معاه ع المطعم كله..

قلت له:

- خلاص روح فهمه إن الشباك ده مش تبع المطعم يمكن يسيبه في حاله.. انتظرنا ساعة أخرى ونحن ننظر لأندريه وهو بيدهن في الشباك ولم يتحرك قيد أنملة.. زاد قلق حسام بعد أن قلت له: روح شد أندريه؛

- لأن شكله لزق في الشباك وهو بيدهن ومكسوف يتكلم.. سألني حسام إذا كان سيستطيع بهذه الطريقة اللحاق برأس السنة.. أكدت له إنه بالشكل ده هيبقى كويس جدا لو أندريه خلص دهان على وقفة عرفة..

اتجهت مع صديقي ناحية أندريه المنهمك في عمله الشبابيكي وقلت له:
- يعني لو الشباك بيفكره بذكرى معينة يا ريت يفرجنا على ذكرياته مع الصالة.. أكد أندريه أن طبيعة عمله هي العمل بدقة..
قلت لحسام:
- عمرك شفت دقة تقعد تدهن في شباك أربع ساعات؟
قال لي:
- ما حصلش..
قلت له:
- خلاص روح غيَّر هدومك وتعالى ساعد أندريه أبو دقة.. وبالفعل وجد حسام بدلة فضائية أخرى مع أندريه - عامل حسابه ابن اللئيمة - ارتداها صديقي ومسك الرولة وأخذ يدهن في الصالة ولم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك بشدة كلما نظرت لحسام وهو متمرمط في الصالة ثم إلى أندريه، أو قبنوري كما أطلقت عليه، من كتر حبه ودهانه للشباك.. اللذيذ بجد هو تدرج معاملة حسام لأندريه؛ فبعد أن كان سنيور أصبح أندريه فقط ثم أصبح بالمصري يا روح أمك.. وأيضا التدرج في المعاملة من الفخر مرورا بالقلق ثم إلى الصدمة.. في الأول حسام كان بيسأله عن كل حاجة بثقة، ثم تطور الموقف لأن حسام ما سألش ثم انتهى بالشخط في أندريه بأنه مش عايز يسمع صوته نهائي.. حتى في الأكل والشرب.. فبعد أن كان حسام كل شوية يعزم عليه ببيتزا أو كوكا امتنع عنها ثم انتهت بالتأكيد على أندريه بأن إيده لو لمست التلاجة هيقطعها.. وأنا كل فترة أقول لحسام:
- أجيب لك رقم النقاش المصري تتأسف له؟
وبجد تساءلت:
- ما الذي كان يمنع أن يبتعد النقاش المصري عن نظرية الفهلوة؛ لأن

المبلغ مبالغ فيه جدا، وأن يقتنع بأنه كمصري أولى من أندريه الذي تمنيت بشدة أن أسمعه أغنية «شباكنا ستايره حرير.. ودهانه كده أوفر وكتير»؟

القطة المشمشية

لم يكن يدور بخلدي إطلاقا أن أكتب عن شخصية عشت معها هنا لأكثر من مرة في أقل من شهرين، لكن جميل الجميل أجبرني على ذلك.. وحتى نصبح عزيزي القارئ معا على الخط، اسمح لي أن أعود بك ومعك - ومن أجلك أنت - بذاكرتي الزهايمرية قليلا إلى الخلف.. سبق أن كتبت عن مصرية جميل واستنكاره للفتنة الطائفية التي تحاول أن تتوغل في مصر، لكنها بإذن الله لن تنجح.. المهم أنه لفت انتباهي إلى أن جميل كاركتر خاص جدا.. وعلى سبيل المثال وليس الحصر، جميل ممكن ياكل أي أكل في التلاجة مهما كان صاحبه، رافعا شعار إن ربنا ما بيحاسبش حد جعان.. جميل رغم وجوده هنا من تسع سنين فإنه معتز جدا بلهجته الصعيدية الرائعة.. عندما أتحدث معه لا أشعر أنني في ميلانو بل في هوارة، وأن من يحدثني هو البدري بدار، لكنه هنا لا يبحث عن وردة أخته، هو يبحث عن لقمة العيش.. جميل بكل ذوق يشكر أي محاولة مني لمساعدته حتى لو عن طريق كوباية شاي، مرددا:

- شكرا خالص

وليس شكرا بس.. وأنا أرد عليه بعفوا مالص.. قرر صديقي الجميل أن يترك السكن معنا لأنه سيتزوج فتاة إيطالية بعد قصة حب عنيفة دامت لأكتر من ساعة إلا تلت.. بهزر طبعا لأنه بجد أحبها وتمسك بها رغم محاولات البعض إثناءه عن ذلك على أساس إن المصريات أولى وإن البلدي يوكل.. رومانسية جميل كانت تتمثل في أنه يتمشى بعد الشغل مع حبيبته في شوارع مونزا وكراجل صعيدي حمش كانت حبيبته تحمل شنطته الصغيرة على كتفها ومش كده وبس.. لا ساحبة العجلة بتاعته كمان، وهو ماشي جنبها تراه تشعر بأنه جميل ابن شداد واللي جنبه دي عبلة الإيطالية.. لسوء حظه كنت كل ما أخرج أتمشى بالليل أتكعبل فيه وأحس إني عزول بجد لأنه واد أصيل ومش هاين عليه ينفض لي وحتما

لازم يقف يسلم عليَّ رغم إنه ساكن معايا واني كمان نص ساعة هبقى معاه في المطبخ واحتمال كبير أطرده منه كمان.. قابلته كتير فعلا لدرجة إني خفت ليشك إني براقبه، وقلت له يا ابني غيَّر أم الشارع ده.. لأن كل الشوارع هادئة ورومانسية ومليئة بالأشجار ولا انت فاكر إن ده شارع الحب يا جميل؟ تزوج جميل وقعد في بلد جنبنا، وقفنا جنبه كلنا في نقل العفش.. كنا فرحانين له بجد والتلاجة كمان كانت فرحانة؛ لأن ربنا رحمها من غزوات جميل الانتحارية.. فهّمت أصحابي في السكن ألا يتصل أحد بجميل إلا بعد شهر ونص، على أساس إنه يبقى شهر عسل وأسبوعين وقت بدل ضايع - يا ترى الماتش كام كام؟ - وبالفعل عملنا كده من أجل عيون العريس المصري الجديد.. وأنا راجع من مشوار في القطر بعد جوازه بأكتر من شهر فعلا قابلته صدفة.. كانت الفرحة واضحة في عينيه - الفرحة بالجواز مش بيا – سألته:

- عامل إيه؟

قال لي:

- تمام أوي جدا خالص..

نزلنا مع بعض من القطر في مونزا.. وجدته يريد لي الاعتراف بسر خطير.. فزوجته الإيطالية بتحب جميل لكنها بتموت في القطط عشان كده مربية قطة معاها في البيت أحسن تربية.. ولأن الحب متبادل بين القطة وصاحبتها كانت تصمم أنها تنام في حضن صاحبتها يوميا، وده طبعا جنن جميل.. حاول إقناع الزوجة بأن تترك القطة في بيت أبوها ويروحوا يزوروها كل أسبوع ولكنها رفضت.. حاول إقناع القطة بأن تنام على الأنتريه إن شالله يوم الأحد بس - الخميس بالمصري - لكنه أيضا فشل.. فلجأ إلى خطة انتقامية بأن خطف القطة ووضعها في كيس بجوار رصيف في محطة مونزا، وهذا أثناء زيارة زوجته لبيت أبوها.. قابلني جميل في

هذا اليوم في القطار طالبا مني البحث معه عن القطة؛ لأنه طول اليوم وضميره معذبه بسببها.. بالفعل بحثنا كثيرا ولم نجدها.. أقسم لي جميل إنه زعلان لأن القطة بها كل المميزات ما عدا حكاية النوم ع السرير معاهم دي.. قلت له يا ابني دي قطة، يعني عادي، لو قط هقولك ماشي عيب وما يصحش.. أقسم لي جميل إن هذه القطة أدهشته بشدة لأنه وجدها تجلس وتشاهد معه أي ماتش كورة، ولو جه جون وجميل فرح تفرح معاه - أكيد قطة أهلاوية - وإنها كانت تصافحه يوميا، عندما يمد يده ترفع هي رجلها وتصافحه.. اندهش جميل من إحساس القطة في حالة غضب جميل يجدها منزوية في مكان بعيد بالغرفة، ومع سماع أول ضحكة مع زوجته تأتي لتشاركهما الفرحة ليعود جميل وقد اشتاط غضبا.. فهمني جميل يومها أنه سينكر لزوجته أنه رآها؛ لأنها زمانها هتموت من البحث عنها.. وسيدَّعي أنها هربت من الشباك.. بجد زعلت من جميل لأن اللي عمله غلط، وعدني بأنه هيدور عليها تاني.. وما جعلني أكتب عن جميل هذه المرة هو أنه أتى لنفس المكان الذي وضع فيه القطة تاني يوم ليجد من أخذها تاركا لافتة صغيرة عليها صورة القطة ورقم تليفونه لمن يهمه الأمر.. بالفعل اتصل به جميل وقام بإعادة القطة لزوجته اللي كانت هتروح فيها.. خفت ليكون بيشتغلني وهو بيقول لي في التليفون هذا الخبر القططي المهم.. صدقت جميل بعد ما رأيت بعيني فرحة زوجته وهي بتفسح القطة في جناين مونزا.. واللي عجبني أكتر إن جميل عاد مرة أخرى لسحب العجلة.